موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية

(٣٣)

الصبر

الباحث الرئيسي ورئيس الفريق العلمي
أ.د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك

www.mtenback.com

دار رواح للنشر والتوزيع

ح مرزوق بن صنيتان بن تنباك ، ١٤٢١ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية/مرزوق بن صنيتان بن تنباك ... [أخ]. الرياض.

٥٢ ج؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٤-٢١٨-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٣٣)

١- الأدب العربي – موسوعات أ- ابن تنباك ، مرزوق بن صنيتان (م . مشارك)

ديوي ٨١٠,٣ ٢١/٢٠٧٨

رقم الإيداع : ٢١/٢٠٧٨

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٤-٢١٨-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٣٣)

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
توطئة	٥
الصبر لغةً	٧
الصبر اصطلاحًا	٨
قيمة الصبر	١٠
كيف يكون الصبر	١٨
الصبر في المأثور الأدبي	١٨
الصبر في الحروب	٣٣
الصبر في التعازي	٣٩
الصبر في الهوى	٥٥
الصبر في التربية	٦١
مراتب الصبر ودرجاته	٦٧
أقسام الصبر	٦٩
فوائد الصبر	٧١
علاقة الشكر بالصبر	٧٣
الفهارس	٧٩

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فَإِذَا رُزِقْتَ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً فَقَدِ اصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الأَرْزَاقِ

فَالنَّاسُ هَذَا حَظُّهُ مَالٌ وَذَا عِلْمٌ وَذَاكَ مَكَارِمُ الأَخْلَاقِ

حَافِظ إِبْرَاهِيم

موقع الدكتور مرعي تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

توطئة:

لقد كان لسكان الجزيرة العربية عادات كثيرة، منها ما أقره الإسلام، ومنها ما ألغاه، فأبقى على العادات الصالحة والنافعة للمجتمع، وحث على ضرورة الاستمرار فيها، وبذلك جاءت أخلاق القرآن تأكيدًا لما هو صالح ومفيد من عادات المجتمع العربي، مثل الصبر، والصدق، والعفة، والكرم، والأمانة، والصدق، كما دعا القرآن الكريم إلى ضرورة ترك العادات السيئة الضارة بالفرد وبالمجتمع، وبنى القرآن الكريم أخلاقًا اجتماعية متينة مستمدة جذورها من صميم الحياة الواقعية، وبما يتلاءم وظروفها. كما شجع الأخلاق الحسنة والحميدة التي كانت موجودة في المجتمع العربي، وربط بينها وبين الدين لتأصيلها في نفوس الناس، ولم يحرم العادات السيئة دفعة واحدة، ولكنه خلص المجتمع منها بالتدريج حتى استطاع التخلي عنها تمامًا. وفي المقابل لم يحدث أي ضرر اجتماعي من جراء محاربتها والخلاص منها كما في تحريمه للخمر، وقصة تحريمه معروفة مشهورة جديرة بأن تكون مثلاً في علاج ما يراد التخلص منه مهما بلغ من الثبات والرسوخ.

وإذا بحثنا في حياة العرب قبل الإسلام نجدها قد اعتمدت في كثير من جوانبها على خلق الصبر فله تكيفوا، وبه انتصروا، وبسبب الطبيعة البيئية والمناخية القاسية التي عاش فيها العرب، وجدت الخصال الكريمة التي تحلّوا بها، فقد اكتسبوا هذه الخصال العظيمة وأورثوها الأجيال. وقد كانوا يعيشون ضمن طبيعة يغلب عليها طابع البداوة والصلابة والتكيف مع ظروف العيش في الصحراء، ورغم أن هذه المنطقة متشابهة في الظروف البيئية والمناخية إلا أن بعض الميسورين من سكان حواضرها كانوا يرسلون أطفالهم منذ نعومة أظفارهم إلى البادية بصعوبتها وقساوتها ليستكملوا خصائص الرجولة وفضائلها من قوة وصبر وفصاحة لسان، ولغرس روح الشجاعة والإقدام والفروسية في نفوسهم بعيدًا عن الأهل وحياة المدن، حتى كان الصبر قيمة وخلقاً من أخلاقهم وعادة محمودة فيهم.

www.mtenback.com

وفي الوقت نفسه فإن الموارد الاقتصادية في تلك الحقب الزمنية كانت محدودة في المنطقة العربية، مما عمق فيهم طبيعة الصبر وتحمل المشكلات، وولّد في نفوسهم صفة الصبر والإقدام.

وقد تخلق العرب بهذه الصفة ومُدحِوا بها، وجعلوا الصبر من مقومات شخصية المرء الكامل ومن ضروريات الحياة التي يتحملها الإنسان، وأصبح من أخلاق النفس التي تمتنع به عمّا لا يحسن فعله ولا يجمل، وهو ابتلاء لقوة العزم والإرادة وامتحان للذات الصابرة. ولابد لكل إنسان من قوة يعتمد عليها فيما يواجه من أعباء الحياة التي يكون النجاح فيها بمقدار الصبر عليها.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

الصبر لغة[1]:

الصبر نقيض الجزع، يقال صَبَر يَصْبِرُ صبرًا، فهو صابر وصبَّار وصِبِّير وصَبُور والأنثى صَبُور أيضًا وجمعه صُبُر.

والصبر حبس النفس عند الجزع، وقد صبر فلان عند المصيبة يصبر صبرًا وصبَّرته أنا حبسته عن الضجر ونحوه. قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾[2].

والتصبر: تكلف الصبر.

وفي الحديث عن النبي ﷺ إن الله تعالى قال: «إنِّي أَنَا الصَّبُور» قال أبو إسحق: الصبور في صفة الله عز وجل، وفي الحديث: لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله عز وجل، أي أشد حلمًا على فاعل ذلك وترك المعاقبة عليه. وقال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[3]، معناه وتواصوا بالصبرعلى طاعة الله، والصبر عن الدخول في معاصيه.

والصَّبْرُ: الجرأة، ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾[4] أي ما أجرأهم على أعمال أهل النار.

قال الحليحي: الصبر ثلاثة أنواع: الصبر على طاعة الجبار، والصبر عن معاصي الجبار، والصبر على طاعته وترك معصيته.

---

[1] ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت، (د.ت) م٢، ص٤٠٣، انظر أيضًا: الزبحاني محمود بن أحمد: تهذيب الصحاح ق١، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د.ت). أبو بكر بن الحسن بن عبد الله الزبيدي الأندلسي، مختصر العين، عالم الكتب. الفيروزآبادي، مجد الدين بن يعقوب: القاموس المحيط، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط٢، (١٣٧١هـ/١٩٥٢م) ج٢.

[2] سورة الكهف: الآية ٢٨.

[3] سورة العصر: الآية ٣.

[4] سورة البقرة: الآية ١٧٥.

www.mtenback.com

وقال ابن الأعرابي: قال عمر: «أفضل الصبر التصبر».

وقوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾[٥] أي صبري صبر جميل، وقوله عز وجل: ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾[٦] أي اصبروا واثبتوا على دينكم وصابروا أي صابروا أعداءكم في الجهاد، وقوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ﴾[٧] أي الثبات على ما أنتم عليه من الإيمان.

وفي «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين»[٨] أن معنى الصبر «حبس النفس عن الجزع واللسان عن التشكي، والجوارح عن لطم الخدود وشق الثياب ونحوهما».

الصبر اصطلاحًا:

للعلماء أقوال عديدة في تعريف الصبر، منها أنّ: «الصبر هو الثبات، والصبر هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب وحبس النفس على ما أصابها ومما لا يلائمها رضًا بتقدير الملك المختار من غير انزعاج، وهو عدم النفور من المقدور، وهو حبس النفس على العادات ومشاقها وعلى المصائب وحرارتها، وعن المنهيات والشهوات ولذاتها»[٩].

يقول ابن الخطيب[١٠]: «الصبر هو حبس النفس على البلوى، وعقل اللسان عن الشكوى، والصبر باب الفرج:

---

[٥] سورة يوسف: الآية ٨٣.

[٦] سورة آل عمران: الآية ٢٠٠.

[٧] سورة البقرة: الآية ١٥٣.

[٨] ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ١٢.

[٩] ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد: تهذيب مدارج السالكين، مؤسسة الرسالة، م٢، ص١٩.

[١٠] عبد العزيز عبد الله: الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، (د.ت) ص٦٤٦.

www.mtenback.com

وَالْيُسْرُ بَعْدَ الْعُسْرِ مَوْكُولٌ بِهِ وَالصَّبْرُ بِالفَرَجِ القَرِيبِ مُوَكَّلُ

والصبر حصن:

وَإِنْ تَخُنِ الأَيَّامُ لَمْ تَخُنِ النُّهَى وَإِنْ يَخْذُلِ الأَقْوَامُ لَمْ يَخْذُلِ الصَّبْرُ

كما نجد أن الصبر هو قهر النفس على احتمال المكاره وتوطينها على تحمل المشاق، وتجنب الجزع، وترويضها على أداء ما يقتضيه الشرع والعقل والدين في مقابلة باعث الهوى والشهوة، وهو بهذا قوة دافعة تدفع النفس إلى فعل الخير، وقوة جاذبة تحول بين المرء وعمل الشر. والنفس لها قوتان: قوة الإقدام مصروفة إلى ما ينفعه، وقوة الإحجام إمساكًا عما يضره.

وهو فضيلة من أجلّ الفضائل التي تربّي في النفس ملكات الخير حتى إن الإنسان لا يكون راضيًا ولا قانعًا، ولا جريئًا، ولا شجاعًا، ولا وفيًا، ولا أمينًا، ولا عفيفًا، ولا حليمًا، ولا تقيًا ولا كريمًا إلا إذا كانت ملكة الصبر ظاهرة عنده، فهو خُلُق فاضل يمتنع به الإنسان عن فعل ما لا يحسن ولا يجمل، وهو قوة من النفس التي يراد بها قوام أمرها، وصلاح شأنها، وهو أن يحسن الإنسان عمله إن كان زارعًا في أرضه، أو تاجرًا في متجره، أو صانعًا في مصنعه، أو باحثًا في عمله، أو طبيبًا في مصحته، أو جنديًا في جيشه أو عالمًا في معهده أو طالبًا في مدرسته، وأن يحسن استقبال البلاء والشدائد والمصائب، و يحسن معالجتها والتصرف فيها، والتغلب عليها والتخلص منها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾[11].

[11] سورة محمد: الآية ٣١.

www.mtenback.com

قيمة الصبر:

قال رسول الله ﷺ: «ما أعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر»[١٢] وقريب من هذا المعنى قول الإمام الغزالي: «الصبر خاصية الإنسان ولا يتصور ذلك في البهائم أو الملائكة، أما في البهائم فلنقصانها، وأما في الملائكة فلكمالها»[١٣].

فالإنسان الذي يقهر شهواته ويتغلب عليها بالصبر فكأنما تجاوز امتحان الشخصية، وتجلّت حقيقة ثبات الدين وبواعثه في نفسه والقدرة على مقاومة باعث الهوى. وهذه المقاومة من خاصة الإنسان، وهذه الفضيلة تجعل الإنسان هادئًا ورزينًا، وتبعد عنه الطيش، كما أنه فضيلة تدل على ضبط النفس، والصبر دائمًا يؤدي إلى النجاح، لكنّ الجزع يؤدي إلى الإخفاق.

والصبر مع الضعف أقوى أثرًا من الجزع مع القوة. قال الغزالي: «والصبر على الناس من أعلى مراتب الصبر لأنه يتعاون فيه باعث الدين وباعث الشهوة والغضب جميعًا»[١٤]. وحينما توجد الإرادة القوية مع الصبر، فلابد من وصول الشخص إلى غرضه وتحقيق أمله، وقد سجل عظماء الرجال انتصارات هائلة بصبرهم وجلدهم وثباتهم، وقد قال ﷺ: «أفضل عبادة أمتي انتظار الفرج».

وعلى الإنسان أن يوطّن نفسه على احتمال المكاره دون ضجر، ويواجه الأعباء مهما ثقلت دون تبرُّم، لأن بوادر الصفو آتية لابد منها، وإن من الحكمة ترقُّبها في هدوء وتيقن، كما أن الابتلاء مؤكد ولابد منه، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾[١٥].

---

[١٢] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب ٥٠، الحديث ١٤٦٩.

[١٣] الغزالي، الإمام أبو حامد محمد بن محمد: إحياء علوم الدين، دار القلم، بيروت، (د.ت) ج٤، ص٦٢.

[١٤] الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد: إحياء علوم الدين، دار الخير، بيروت، ص٣١٨.

[١٥] سورة محمد: الآية ٣١.

www.mtenback.com

ولهذا فإنه يجب أن تُتلقّى الأحداث ببصيرة مستنيرة، وفكر هادئ، لا أن تقابل بالانفعال والضجر، فالصبر أفضل وهو بالمرء أجدر وأجمل.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾[١٦].

وقال الشاعر:

عَلَيْكَ بِحُسْنِ الصَّبْرِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ ... وَإِنْ عَظُمَتْ فِيكَ الخُطُوبُ وَجَلَّتِ

فَمَا نَابَ خَطْبٌ أَوْ أَلَمَّتْ مُلِمَّةٌ ... وَقَابلْتَهَا بِالصَّبْرِ إِلاَّ تَجَلَّتِ

والصبر «قوة خلقية من قوى الإرادة تمكن الإنسان من ضبط نفسه لتحمل المتاعب والمشاق والآلام وضبطها عن الاندفاع بعوامل الضجر والسأم والملل والعجلة والرعونة والغضب والطيش والخوف والطمع والأهواء والشهوات والغرائز» [١٧] ولن يغلب عسر يسرين أبدًا.

قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا. إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[١٨].

وما نسمعه من يأس شخص من فرج الله إنما هو حالة يأس، ولا يأس مع الحياة التي تتطلب دوام الكفاح والصبر والمثابرة والإصرار والاستمرار في الجهاد. قال الشاعر[١٩]:

لاَ تَجْزَعَنَّ لِعُسْرَةٍ مِنْ بَعْدِهَا ... يُسْرَانِ وَعْدٌ لَيْسَ فِيهِ خِلاَفُ

---

[١٦] سورة آل عمران: الآية ١٨٦.

[١٧] الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة: الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم، بيروت، دمشق، ط١، (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ج٢، ص٢٩٣.

[١٨] سورة الشرح: الآيتان ٥-٦.

[١٩] المبرد، أبو العباس، محمد بن يزيد: الكامل في اللغة والأدب، مؤسسة المعارف، بيروت، ج١، ص٢٩٩.

www.mtenback.com

كَمْ عُسْرَةٍ ضَـــاقَ الفَتَـــى لِنُزُولِهَـــا لِلـــهِ فِـــي أَعْقَابِهَـــــا أَلْطَـــافُ

والجزع من العجز، واليأس من الضعف. وتربية جانب القوة في الإنسان تحتـــم عليه أن يحتمي بالله، ويلجأ إليه فيطغى اليقين على الألم وهذا من أسرار القوة[٢٠]:

إِذَا ابْتُلِيْـــتَ بِعُسْـــرَةٍ فَـــاصْبِرْ لَهَـــا صَبْرَ الكِـــرَامِ فَـــإِنَّ ذَلِـــكَ أَحْـــزَمُ

لا تَشْـــكُوَنَّ إِلى العِبَـــادِ فَإِنَّمَـــا تَشْكُو الرَّحِيْمَ إِلى الَّـــذِي لا يَرْحَـــمُ

فالدنيا بطبيعتها دار تمحيص وامتحان، وقـــد يخرج الإنسان من امتحان ويدخل في آخر يختلف عنه، ويمتحن الإنسان بالشيء وضده، مثل أن يُمتحن بالصحة والمرض، أو الغنى والفقر، ولكن المصائب بينها وبين الإيمان صلة وثيقة، فهـــي تكشـــف عـــن حقيقته أو زيفه. قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا . وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[٢١]. وإذا كان الإنســـان خلق من عَجَلٍ، فالصبر له دواء. فهذا ابن الخطيب يـــوصي بالصبر على أذى المؤذين كما يوصي بالصبر على صروف الدهر[٢٢]:

وَاصْبِرْ عَلَى مَضَضِ اللَّيَـــالِي إِنَّهَـــا لَحَوَامِـــلٌ سَـــيَلِدْنَ كُـــلَّ عَجِيْـــبِ

كما أن الصبر على المفقود شفاء من علة آثاره، قال الشاعر:

فَإِذَا جَعَلْتَ الصَّبْرَ مَفْـــزِعَ مُعْضِـــلٍ عَـــاجَلْتَ عِلَّتَـــهُ بِطِـــبٍّ طَبِيْـــبِ

وما جدوى حزن على فائت لا يعيده الضجر، ولا يعوض فقده جزع:

فَلِلصَّـــبْرِ أَوْلَى أَنْ يَكُـــونَ رُجُوعُنَـــا إِذَا لَمْ نَكُنْ بِـــالْحُزْنِ نُرْجِـــعُ فَائِتَـــا

---

[٢٠] عفيفي، فوزي سالم: مكارم الأخلاق، وكالة المطبوعات، الكويت، (د.ت)، ص ٦٤..

[٢١] سورة العنكبوت: الآيتان ٢-٣.

[٢٢] عبد الله: الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب، ص٦٤٧.

www.mtenback.com

ولهذا نجد الصبر أحد علامات الكمال، ويكفي أن نعلم أن «الصبور» اسم من أسماء الله الحسنى، لأنه لا يعجل العقاب وإنْ أسرَعَ الناسُ بالذنوب.

ثم إن الصبر مدعاة للفوز بالثواب قال الشاعر[٢٣]:

عَلَى قَدْرِ فَضْلِ المَرْءِ تَأْتِي خُطُوبُهُ ... وَيُحْمَدُ مِنْهُ الصَّبْرُ مِمَّا يُصِيبُهُ

فَمَنْ قَلَّ فِيمَا يَلْتَقِيهِ اصْطِبَارُهُ ... لَقَدْ قَلَّ فِيمَا يَرْتَجِيهِ نَصِيبُهُ

ويقول الله تعالى في هذا المعنى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٢٤].

فالصبر إكسير الوصول إلى درجة الكمال، ولا يتصف به إلا قوي. كما أن الصبر على المصائب مثل الصبر على الطاعة. يقول الله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[٢٥].

فالصبر قوة تحمل واختبار عزيمة، ولا يتصف به إلا العظماء من الناس، حين يكون تقلب الزمان وتغير الظروف والتحول من حال سارة إلى حالة ضارة، يلجأ الصابرون إلى مصدر التحدي وهو الاعتماد على النفس وحملها على الصبر وتجاوز الضعف البشري. ولابد للصبر من مواقف الاستعداد له، وتدريب المرء عليه في كل الحالات.

ولاشك أن الصبر وراء إنجاز كل عمل عظيم، إذ لايتم إلا بالصبر، ولايحقق المرء شيئًا من مطامحه إذا لم يتصف بالصبر. ومن علامات الصبر المداومة على العمل الذي

---

[٢٣] الأبشيهي، شهاب محمد بن أحمد: المستطرف في كل فن مستظرف، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت)، م١، ص٦٢.

[٢٤] سورة الزمر: الآية ١٠.

[٢٥] سورة البقرة: الآية ٤٥.

www.mtenback.com

يجد الإنسان فيه نفعًا وإن تعسرت أوائله. فقد يكون الصبر سبيله ومفتاحه السحري الذي لاتمسكه إلا أيدي الصابرين.

ولابدّ مع الصبر من قوة العزيمة، لتحقيق المراد، وبلوغ الهدف. وهي عاطفة تغذيها الإرادة، وتشعلها الحماسة، وتديمها الثقة بالله وفرجه. والصبر الذي يفقد قوة العزيمة، والثقة بالله يؤدي إلى اليأس ثم الاستسلام، ثم القنوط من رحمة الله، وهو ما ليس من صفات المؤمن. يقول الله تعالى: ﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ. قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾[٢٦].

إن قوة العزيمة ثمرة من ثمار الإيمان بالله، والثقة برحمته، وهي عاطفة يمكن للإنسان أن يروّض نفسه عليها، ويدرّبها عليها، مدفوعًا بقوة إيمانه، مستبشرًا بالفرج. يقول الشاعر:

لأَسْتَسْهِلَنَّ الصَّعْبَ أَوْ أُدْرِكَ الْمُنَى ... فَمَا انْقَادَتِ الآمَالُ إِلاَّ لِصَابِرِ

وأفضل الصبر ما كان بغير جزع فيه، ولا تَسَخُّط، ولا شكوى لغير الله[٢٧].

وهو الصبر الجميل الذي أمر الله به، فقال: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً﴾[٢٨].

وتعهد يعقوب عليه السلام بقوله تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾[٢٩].

---

[٢٦] سورة الحجر: الآيتان ٥٥-٥٦.

[٢٧] القرطبي، الإمام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر: بهجة المجالس وأنس المجالس، وشحذ الذهن والهاجس، دار الكتب العلمية، بيروت، م١، ص٣٤٨.

[٢٨] سورة المعارج: الآية ٥.

[٢٩] سورة يوسف: الآية ١٨.

www.mtenback.com

ويقول الشاعر:

تَصَبَّرْ أَيُّهَا العَبْدُ اللَّبِيبُ ... لَعَلَّكَ بَعْدَ صَبْرِكَ مَا تَخِيبُ

وَكُلُّ الحَادِثَاتِ إِذَا تَنَاهَتْ ... يَكُونُ وَرَاءَهَا فَرَجٌ قَرِيبُ

وقد صدق أبو العتاهية حين قال[٣٠]:

هِيَ الأَيَّامُ وَالعِبَرُ ... وَأَمْرُ اللهِ يُنْتَظَرُ

أَتَيْأَسُ أَنْ تَرَى فَرَجًا ... فَأَيْنَ اللهُ وَالقَدَرُ

ومثل قول أبي العتاهية يأتي هذا البيت الجميل بدلالته ومعناه[٣١]:

إِذَا تَضَايَقَ أَمْرٌ فَانْتَظِرْ فَرَجًا ... فَأَضْيَقُ الأَمْرِ أَدْنَاهُ إِلَى الفَرَجِ

الصبر كان سلاح النجاح. ولو نظرنا إلى مواضعه في القرآن، وصلته بحياة الرسول وأصحابه وماتحقق من نجاح كان عماده الصبر الذي أكده القرآن في حالات شتى وفي أكثر من تسعين موضعًا لوجدنا خيطًا دقيقًا يربط النجاح والفلاح والفوز في نهاية المطاف بالصبر على الشدة أيًا كانت وفي أي معنى جاءت. وقد جاء في معاني الصبر الربط له بالفلاح، فمن صبر أدرك الفلاح وفاز به حين نقرأ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٣٢].

وجاء الإخبار عن مضاعفة أجر الصابرين على أجور غيرهم في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾[٣٣]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ

---

[٣٠] أبو العتاهية: ديوانه، دار بيروت، للطباعة والنشر، بيروت، (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ص٢١٩.

[٣١] الأبشيهي: المستطرف، م١، ص٧٢.

[٣٢] سورة آل عمران: الآية ٢٠٠.

[٣٣] سورة القصص: الآية ٥٤.

www.mtenback.com

بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٣٤]. وجعل من أسباب حصول الإمامة في الناس وفي الدين الصبر واليقين: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[٣٥]. ويظفر الصابرون بعون الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[٣٦]. كما جمع للصابرين ثلاثة أمور لم يجمعها لغيرهم، وهي الصلاة منه عليهم، ورحمته لهم، وهدايته إياهم. قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ. الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[٣٧]. وقد جعل الصبر عونًا وعدة، وأمر بالاستعانة به، فقال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾[٣٨].

والنصر يأتي بالصبر والتقوى، كما جاء في قوله تعالى: ﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا﴾[٣٩]. ولهذا قال النبي ﷺ: «واعلم أن النصر مع الصبر». والصبر والتقوى وقاية عظيمة من كيد العدو وفكره، فما أدرك المرء وقاية أعظم من الصبر: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾[٤٠].

---

[٣٤] سورة الزمر: الآية ١٠.

[٣٥] سورة السجدة: الآية ٢٤.

[٣٦] سورة البقرة: الآية ١٥٣.

[٣٧] سورة البقرة: الآيات ١٥٥- ١٥٧.

[٣٨] سورة البقرة: الآية ٤٥.

[٣٩] سورة آل عمران: الاية ١٢٥.

[٤٠] سورة آل عمران: الآية ١٢٠.

www.mtenback.com

وأخبر أن ملائكته تسلم على الصابرين في الجنة بصبرهم: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ. سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[41]. وقد وعد سبحانه بالمغفرة والأجر الكبير على الصبر والعمل الصالح، فقال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[42].

وحث في حال العقوبة أن يكون الصبر خيرًا من الانتقام والقصاص: ﴿وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾[43].

كما ربط ربطًا قويًا بين شيئين متلازمين هما الصبر والعزم ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[44] وهو بذلك بناء لمكارم العفو عند المقدرة هو الخيار الأفضل عند القصاص.

ولو ذهبنا نبحث في لغة القرآن ونصوصه وما يتعلق منها بالصبر سلوكًا جميلاً وخلقًا فاضلاً لتعددت النقول وتكررت المعاني، ولكنها في كل مرة تعطي ملمحًا يدل على ما للصبر من قيمة دينية وخلقية، وما ينعكس فيه من صور العطاء الإنساني الذي لا يدفع إلى الحماقة والضجر ومايتبع الحماقة والضجر من عواقب لوم النفس، ولكن لابد من الاستشهاد بآية ضربت المثل الأعلى للسلوك البشري وكيف يحول الصبر الإنسان ويبدله من العداوة والمناوأة إلى الحب والصداقة عندما يقول تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[45].

---

(41) سورة الرعد: الآيتان ٢٣- ٢٤.

(42) سورة هود: الآية ١١.

(43) سورة النحل: ١٢٦.

(44) سورة الشورى: ٤٣.

(45) سورة فصلت: ٣٥.

www.mtenback.com

كيف يكون الصبر:

إذا كان الصبر قيمة اجتماعية - وهو كذلك - فلابد من وقفات مع أمثلة من الصبر بعيدة بعض البعد عن المعنى النظري المجرد. وكيف يكون موقف العربي وهو في تمام الصحة وعنفوان الشباب حين يَقْدُمُ لتضرب عنقه، إنه موقف يزلزل الجماد وساعةً رهيبة تُخرج أقصى مايتمتع به قلب من ثبات وصبر. وللعرب في هذا الحال مواقف وأمثلة تبين أن الصبر ليس فقط لرجاء النجاح أو تخفيف المصيبة بفقد مال أو عزيز، ولكنه بإغاظة العدو وحربه وإظهار صلابة موقفه. وقد عرض رجل عربي صليبة قاده القدر إلى حياض القصاص وواجه الموت وهو يرى بعينه مصيره وقائده إلى القضاء يقف بجانبه، وأعداؤه الذين يقتصون منه يقفون ليثأروا منه ويشمتوا به، فأظهر التجلد والصبر حتى يُفَوِّت على هؤلاء الأعداء ما يطمعون به عندما يرونه جزعًا من الموت خائفًا من القصاص، كما يود أن يسرَّ قومه الذين وقفوا أيضًا يرونه وهو يقاد، ويوصونه بالصبر والتجلد فلم يخب ظنهم عندما قالوا له: اصبر، فأنشدهم في الحال شعرًا يدل على رباطة جأشه وتحديه للواقع المرير الذي وقع فيه فقال[٤٦]:

أَصْبَرُ مِنْ عَوْدٍ بِجَنْبِهِ جَلَبْ ... قَدْ أَثَّرَ البِطَانُ فِيْهِ والحَقَبْ

الصبر في المأثور الأدبي:

كان الصبر طبيعة العربي وخلقه، وقلما عنَّ له أمر حاول أن يجعل الصبر سبيلاً له إلى بلوغ أربه إن كان فيما عنَّ أرب أو كان الصبر وسيلته إلى تجاوز المشكلات إن كانت ثمة مشكلات في طريقه. وقد تكون العاقبة المحمودة للصبر، كما قال الشاعر الذي عرك الحياة وعرفها وجعل الصبر أقوى أعوانه عليها[٤٧]:

---

[٤٦] العسكري، أبوهلال: جمهرة أمثال العرب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، (د.ت)، ج١.

[٤٧] الأبشيهي: المستطرف في كل فن مستظرف، م١، ص ٥٨.

www.mtenback.com

إِنّي رَأَيْــتُ وَفِــي الأَيّــامِ تَجْرِبَــةٌ ... لِلصَّــبْرِ عَاقِبَــةٌ مَحْمُــودَةُ الأَثَــرِ
وَقَلَّ مَــنْ جَــدَّ فِــي أَمْــرٍ يُؤَمِّلُــهُ ... وَاسْتَصْحَبَ الصَّبْرَ إِلاَّ فَــازَ بِــالظَّفَرِ

وجاء في المعنى نفسه الأبيات التالية[٤٨]:

تَصَبَّرْ ففِي اللَّأْواءِ قَدْ يُحْمَدُ الصَّــبْرُ ... وَلَوْلا صُرُوفُ الدَّهْرِ لَمْ يُعْرَفِ الحُــرُّ
وَإِنَّ الَّذي أَبْلَى هُوَ العَوْنُ فَــانْتَدِبْ ... جَمِيلَ الرِّضا يَبْقَى لَكَ الذِّكْرُ وَالأَجْرُ
وَثِقْ بِالَّذي أَعْطَى وَلاتَــكُ جازِعًــا ... فَلَيْسَ بِحَــزْمٍ أَنْ يُرَوِّعَــكَ الضُّــرُّ
فَــلا نَعَــمٌ تَبْقَــى وَلا نِقَــمٌ وَ لا ... يَدُومُ كِلا الحالَيْنِ عُسْــرٌ وَلا يُسْــرُ
تَقَلَّبُ هَــذا الأَمْــرِ لَيْــسَ بِدائِــمٍ ... لَدَيْهِ مَــعَ الأَيّــامِ حُلْــوٌ ولا مُــرُّ

والعربي يقدم الوصفة الشافية لما تحدثه النكبات وتجليه الأيام، ويرى أنها مرحلة ستمر وأن مايظهره من جلد في مواجهتها هو دواؤها الشافي فيقول:

وَإِذَا مَسَّــكَ الزَّمَــانُ بِضُــرٍّ ... عَظُمَتْ دُونَــهُ الخُطُــوبُ وَجَلَّــتْ
وَأَتَــتْ بَعْــدَهُ نَوَائِــبُ أُخْــرَى ... سَــئِمَتْ نَفْسُــكَ الحَيَــاةَ وَمَلَّــتْ
فَاصْطَبِرْ وَانْتَظِــرْ بُلُــوغَ الأَمَــانِي ... فَالرَّزَايَــا إِذَا تَوالَــتْ تَوَلَّــتْ
وَإِذا أَوْهَنَــتْ قُــوَاكَ وَجَلَّــتْ ... كُشِــفَتْ عَنْــكَ جُمْلَــةً وَتَخَلَّــتْ

ولا يذهب محمد بن بشير الخارجي عن الرأي القائل إن الصبر مفتاح الفــرج، فيقول[٤٩]:

إِنَّ الأُمُــورَ إِذَا اسْــتَدَّتْ مَسَــالِكُها ... فَالصَّبْرُ يَفْتَحُ مِنْهَــا كُــلَّ مُاارْتَتَجــا

---

[٤٨] الهاشمي، السيد أحمد: جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، ج١، ص٤٣٦.

[٤٩] الخارجي، محمد بن بشير: شعره، تحقيق: محمد خير البقاعي، ط١، (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص١٣٣.

www.mtenback.com

لاَ تَيْأَسَنَّ وإِنْ طَالَتْ مَطَالِبُهُ ... إِذَا اسْتَعَنْتَ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجَا

أَخْلِقْ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحاجَتِهِ ... وَمُدْمِنِ القَرْعِ لِلأَبْوَابِ أَنْ يَلِجا

ولكن النفس الإنسانية تضعف أحيانًا أمام بعض المصائب، وتعجز عن تحملها، أو كتمان أثرها، فيعجز المرء عن إخفاء أثرها لشدة حزنه، كأن تذرف دموعه فلا يستطيع حبسها، أو يعصره الألم فلا يقدر على إخفاء توجعه، أو نحو ذلك. ويحصر الشاعر زهير بن أبي سُلْمَى هذه المصائب في ثلاث لا يقوى الإنسان على إخفاء آلامها مهما تصبَّر أو تجَلَّد، فيقول[٥٠]:

ثَلاثٌ يَعزُ الصَّبْرُ عِنْدَ حُلولِهَا ... وَيذْهَلُ عَنْهَا عَقْلُ كَلِّ لَبِيْبِ

خُرُوجُ اضْطِرارٍ مِنْ بِلادٍ يُحِبُّهَا ... وَفُرْقَةُ إِخْوانٍ وَفَقْدُ حَبِيْبِ

وينبغي للإنسان المصاب بمكروه أن يخفي مصابه، ويتجمل بالصبر، ويظهر للناس قدرته على تحمل المكاره، ومقابلة المقدور بالصبر الجميل، حتى لو شعر أن مابداخله يتمزق ألمًا، لأن الناس لا يعذرون على الجزع، ولأن بعض الناس يحبون الشماتة[٥١]:

عَلَيْكَ بِإِظْهَارِ التَّجَلُّدِ لِلْعِدَا ... وَلاَ تَظْهَرَنْ مِنْكَ الذُّبُولُ فَتُحْقَرَا

أَمَا تَنْظُرُ الرَّيْحَانَ يُشْتَمُّ نَاضِرًا ... وَيُطْرَحُ فِي البَيْدَا إِذَا مَا تَغَيَّرَا

ويقول ابن نباتة[٥٢]:

صَبْرًا عَلَى نُوَبِ الزَّمَانِ ... وَإِنْ أَبَى القَلْبُ الجَرِيحْ

فَلِكُلِّ شَيْءٍ آخِرٌ ... إِمَّا جَمِيْلٌ أَوْ قَبِيْحْ

---

[٥٠] زهير بن أبي سُلمى: شاعر الحكمة، دار الكتاب الجامعي، العين، (د.ت)، ص١٧٠.

[٥١] الأبشيهي: المستطرف، ص٦٠.

[٥٢] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

وقد عبر الشعراء والحكماء عن فضائل الصبر، وأهمها أنه طريق النجاح والظفر بالمراد. وفي هذا المعنى يقول بعض الحكماء[٥٣]: «ما جُوهِد الهوى بمثل الرأي، ولا استنبط الرأي بمثل المشورة، ولا حفظت النعم بمثل المواساة، ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكِبْرِ، وما استنجحت الأمور بمثل الصبر».

ويقول محمود الوراق في هذا المعنى أيضًا:

إِنِّي رَأَيْتُ الصَّبْرَ خَيْرَ مُعَوَّلٍ ... فِي النَّائِبَاتِ لِمَنْ أَرَادَ مُعَوَّلاَ

وَرَأَيْتُ أَسْبَابَ القَنَاعَةِ أُكِّدَتْ ... بِعُرَى الغِنَى فَجَعَلْتُهَا لِي مَعْقِلا

ويتخذ الشعر العبرة من التاريخ والموعظة من التجربة، ويعطي الدلالة على تحول الأمور وتبدل الحياة التي لا ثبات لها، وذلك كله توطئة وتهيئة للنفس على الصبر إذا حدث للإنسان ما يكره أو ما لا يحب. وهذه الأبيات عصارة تجربة يقدمها الشعر لمن يريد التجارب وينتفع بها:

الدَّهْرُ لاَ يَبْقَى عَلَى حَالِهِ ... لاَبُدَّ أَنْ يُقْبِلَ أَوْ يُدْبِرْ

فَإِنْ تَلَقَّاكَ بِمَكْرُوهِهِ ... فَاصْبِرْ فَإِنَّ الدَّهْرَ لاَ يَصْبِرْ

ورُوي عن النبي ﷺ قال: «الصبر ستر الكروب، وعون على الخطوب» ورُوي عن علي رضي الله عنه، أنه قال: «الصبر مطية لا تدبر، وسيف لا يكلّ»[٥٤].

والخنساء المرأة الشامخة بصبرها وقوة تحملها، تؤمن أن الصبر يدخل السرور على النفس على عكس الجزع والحزن اللذين يُعدان مصدرًا أساسيًا للعذاب والشقاء، وإن من يفكر في الصبر يحقق النسيان للألم والصعاب فتقول[٥٥]:

---

[٥٣] الأبشيهي: المستطرف، ص ٦٠.

[٥٤] المصدر السابق، ص ٦١.

[٥٥] الخنساء، تماضر بن عمرو: ديوان الخنساء، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص ١٠٣.

www.mtenback.com

هَرِيْقِي مِـــنْ دُمُوعِـــكِ وَاسْـــتَفِيْقِي وَصَبْرًا إِنْ أَطَقْـــتِ وَلَـــنْ تُطِيْقِـــي
وَلَكِنِّـــي رَأَيْـــتُ الصَّـــبْرَ خَـــيْرًا مِـــنَ النَّعْلَيْـــنِ والـــرَّأْسِ الحَلِيْـــقِ

لقد بكت أخاها صخرًا، وكانت ترى حينئذ أنها حقيقة بالبكاء لعظم الخطب فقالت[٥٦]:

وَمَا يَبْكُـــوْنَ مِثْـــلَ أَخِـــي ولَكِـــنْ أُعَـــزِّي النَّفْـــسَ عَنْـــه بالتَّأسِـــي

ولكنها لما عرفت أن البكاء لا يعيد مفقودًا، ولا يرد مقدورًا، عندئذ أيقنت أن العلاج الأسمى لكل الأزمات هو الصبر، وأقسمت ألا تحزن على هالك أبـــدًا، الأمـــر الذي كان مدعاة للعجب. وفي هذا المقام تقول أيضًا:

فَأَقْسَـــمْتُ أَبْكِـــي عَلَـــى هَـــالِكٍ وَأَسْـــأَلُ نائِحَـــةً مالِهَـــا؟
فَإِن تَصْبِرِ النَّفْـــسُ تَلْـــقَ ٱلسُّـــرُورَ وَإِنْ تَجْـــزَعِ النَّفْـــسُ أَشْـــقَى لَهَـــا

فثمرة الصبر التأييد، وعاقبته الخير. يقول: عمر بن عبد العزيز في الصبر[٥٧]: «ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه فعاضها مكانها الصبر إلا كان ما عوضه خيرًا ممـــا انتزعه»، أي أن الصبر عوض عن كل ما يفقد الإنسان من متاع الحياة.

وليس الصبر مواجهة مع النفس والأحداث فحسب، ولكنه مواجهة مع الأعداء الذين لا يود المرء الكريم أن يجدوا فرحتهم عليه ولا شماتتهم به، فإذا صبر فوت علـــى أعدائه الشماتة، وفوت عليهم الفرحة برزيئته فيظهر الصبر. وقد روى الثعالبي شـــعرًا بهذا المعنى حين قال[٥٨]:

تَصَبَّرْ وَلا تُبْدِ التَّضَعْضُـــعَ لِلْعِـــدَى وَلَوْ قَطَّعَتْ فِي الجِسْمِ مِنْكَ البَوَاتِـــرُ

---

[٥٦] الخنساء: ديوان الخنساء، ص ٨٥.

[٥٧] ابن قيم الجوزية: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ص ١٨٢.

[٥٨] الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل: اللطائف والظرائف، دار المناهل للطباعة والنشـــر والتوزيع، (د.ت) ص١١٠.

www.mtenback.com

سُرُورُ الأَعَـــادِي أَنْ تَـــرَاكَ بِذِلَّـــةٍ وَلَكِنَّهَـــا تَغْتَـــمُّ إِذْ أَنْـــتَ صَـــابِرُ

فالصبر يقهر الأعداء إذا لم يروا آثار الجزع على عدوهم. وهذا معنى جميل آخر وتعليل للنفس على نيل المرام في التحمل، وفي أهمية الصبر واقترانه بالنصر:

قَرِيـــنُ الصَّـــبْرِ يَظْفَـــرُ بَعْدَ حِيْـــنٍ بِحَاجَتِـــهِ فَيُوجَـــدُ قَـــدْ قَضَاهَـــا

فالصبر جنة المؤمن، وعزيمة المتوكل، وسبب إدراك النجاح وتحقيق الأهـــداف، ومن وطّن نفسه على الصبر لم يجد للأذى مسلكًا. وهذا المهلب بن أبي صُفرة يقـــول لأبنائه: «يا بني إن غلبتم على الظفر، فلا تغلبوا على الصبر».

وفي هذا المعنى يقول الشاعر أيضًا:

مَنْ يَمْتَـــطِ الصَّـــبْرَ يَضَـــعْ رَحْلَـــهُ بِسَـــاحَةِ الرَّاحَـــةِ وَالْيُسْـــرِ

ويقول محمود الوراق[٥٩]:

الصَّبْرُ أَمْضَـــى سِـــلاَحٍ ذِي الأَدَبِ فَـــاقْمَعْ بِـــهِ حَـــدَّ سَـــوْرَةِ الأَرَبِ

ويقول علي بن الجهم مبينًا عاقبة الصبر وفضله[٦٠]:

وَعَاقِبَـــةُ الصَّـــبْرِ الجَمِيْـــلِ جَمِيْلَـــةٌ وَأَفْضَلُ أَخْلاَقِ الرِّجَـــالِ التَّفَضُّـــلُ

وقال آخر مظهرًا حسن الصبر في كل المواطن ومحببًا اتخاذه جبلَّة وطبيعة:

مَا أَحْسَـــنَ الصَّـــبْرَ فِـــي مَوَاطِنِـــهِ وَالصَّبْرُ فِي كُـــلِّ مَوْطِـــنٍ حَسَـــنُ

ومما روى أبو زيد القرشي[٦١] قول النابغة الجعدي وهو يصبر خليليه إذا جاءهما ما يُروّع من الأمور التي تُخرِجُ بعض الناس من دائرة الصبر إلى دائرة الجزع. فيقـــول في ذلك:

---

[٥٩] الثعالبي: اللطائف والظرائف، ج١، ص ١١٢.

[٦٠] علي بن الجهم: ديوان علي بن الجهم، تحقيق: خليل مردم بك، دار صادر، بيروت، ص١٧٢.

[٦١] القرشي، أبو زيد محمد بن الخطاب: جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تحقيق: علي محمـــد البجاوي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، (د.ت)، ص٦١٨.

www.mtenback.com

وَإِنْ جَـاءَ أَمْـرٌ لاَ تُطِيقَـانِ دَفْعَـهُ فَلاَ تَجْزَعَا مِمَّا قَضَـى اللهُ وَاصْـبِرَا

وجاء في رسالة الإمام مالك في السنن والمواعظ والآداب[٦٢]: «إذا نزلت بك كربة من كرب الدنيا فليكن مفزعك إلى الله عز وجل حين تنزل بك، بلغني عن النبي ﷺ أنه قال: لن ينزل بعبد قط أمر كان مفزعه فيه إلى الله إلا فرج الله عنه». أي أن قوة الصمود مع حدوث المكروه تخفف وقعه على النفس، وتقلل من آثاره على حياة الإنسان، وهذا هو عمل الصبر ووظيفته التي عرفها العرب وأثنوا على المتصفين بها.

رُوي أنه[٦٣]: «أغلظ عبد لسيده فقال: إني أصبر لهذا الغلام على ما ترون لأروض نفسي بذلك فإن صبرت للمملوك على المكروه كنت لغير المملوك أصبر».

ومما اختير في هذا المعنى قول الشاعر[٦٤]:

اِصْبِرْ عَلَى القَدَرِ المَجْلُوبِ وارْضَ بِـهِ وَإِنْ أَتَاكَ بِمَـا لا تَشْـتَهِي القَـدَرُ

فَمَا صَفَا لامْرِئٍ عَيْـشٌ يُسَـرُّ بِـهِ إِلاَّ سَـيَتْبَعُ يَوْمًـا صَفْـوَهُ كَـدَرُ

وورد في الكامل أيضًا قول أحدهم مظهراً جزعه وعدم صبره ومعللاً هذا بلغة أدبية:

دُمُوعٌ أَجَابَتْ دَاعِيَ الحُـزْنِ هُمَّـعُ تُوَصِّلُ مِنَّـا عَـنْ قُلُـوبٍ تَقَطَّـعُ

وَقَدْ كَانَ يُدْعَى لاَبِسُ الصَّبْرِ حَازِمًـا فَأَصْبَحَ يُدْعَى حَازِمًا حِـينَ يَجْـزَعُ

---

[٦٢] صفوت، أحمد زكي: جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، العصر العباسي الأول، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، مصر، (د.ت) ص٤١٧.

[٦٣] ابن قتيبة الدينوري: عيون الأخبار، اختيار أحمد عبد العليم البردوني، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، (د.ت) ص١٠٠.

[٦٤] المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد: الكامل ج١، ٢، ٣، مؤسسة المعارف، بيروت، (د.ت)، ص٣٠٠.

www.mtenback.com

ولأن الصبر مطية النصر على ما يعتري المرء من مشكلات الحياة، فإنه يتوقع أن يخفف الصبر أثر الشدة. ولذا قال الشاعر[٦٥]:

لاَ تَجْزَعَنَّ لِعُسْرةٍ مِنْ بَعْدِهَا يُسْرَانِ وَعْدٌ لَيْسَ فِيهِ خِلاَفُ
كَمْ عُسْرةٍ ضَاقَ الفَتَى لِنُزُولِهَا لِلَّهِ فِي أَعْطَافِهَا إِلْطَافُ

والبيت الأول فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ وهو أمر تكرر بتجربة العرب في محاسن الصبر وفضله. وقد وقف الشعراء موقفين مختلفين، فمنهم من رأى أن عمره ينقضي مع طول الصبر، ومنهم من يرى أن الصبر يُبلِغُ المرءَ مطلبه وإن كثرت الحوادث وتوالت. يقول الشاعر[٦٦] في هذا المعنى وهو يترقب الخوف من ضياع العمر في الصبر:

مَا أَحْسَنَ الصَّبْرَ لَكِنَّهُ فِي ضِمْنِهِ يَذْهَبُ عُمْرُ الفَتَى

أما القاضي الفاضل فيضيف معنى جديداً لما نحن بصدده من عدّ قيم الصبر والحديث عنها، فهو يؤمن بفضل هذه القيمة الخلقية المحمودة، لكن القلق الإنساني يراود نفسه الحساسة حين لا تعرف أيهما أطول بقاء وأكثر استمرارًا، آلعمر الذي يذهب أم العاقبة المرجوة للصبر التي ترتقب. فيقول وهو في انفعال شعوري:

يَقُولُون إِنَّ الصَّبْرَ يُعْقِبُ رَاحَةً وَمَا ضَمِنُوا تبليغ عَاقِبَةِ الصَّبْرِ
وَفِي الصَّبْرِ رِبْحٌ أَوْ طَرِيقٌ مُبَلِّغٌ إِلى الرِّبْحِ لِكِنَّ الخَسَارَةَ فِي عُمْرِي

وقال أحمد بن عياض (القاضي الفاضل) معولاً على الصبر في حل ما يواجه الإنسان حتى لو كان في انقضاء الأجل وخروجه من الدنيا[٦٧]:

---

[٦٥] المبرد: الكامل، ص٢٩٩.

[٦٦] المصدر السابق، ص٣٠١.

[٦٧] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

تَصَبَّرْ لِلْعَوَاقِبِ وَاحْتَسِبْهَا ... فَأَنْتَ مِنَ العَواقِبِ في اثْنَتَيْنِ
تُرِيحُكَ بِالمُنى أَوْ بِالمَنَايَا ... فَإِنَّ المَوْتَ إِحْدَى الرَّاحَتَيْنِ

أما أبو المظفر الأبيوردي فقد أظهر عكس الرأي السابق، وجعل النتيجة مضمونة لصالح الصابر وبالغ في صموده وتحديه الذي يواجه الخطب المدلهم والحادث الذي وقع فيه أو سيقع فيقول[٦٨]:

تَنَكَّرَ لِي دَهْرِي ولَمْ يَدْرِ أَنَّنِي ... أَعَزُّ وَأَنَّ الحَادِثَاتِ تَهُونُ
فَبَاتَ يُرِيْنِي الخَطْبَ كَيْفَ اعْتِدَاؤُهُ ... وَبِتُّ أُرِيْهِ الصَّبْرَ كَيْفَ يَكُونُ

ويقول أبو الفتح البُسْتي مؤكدًا نتائج الصبر الجميل وحاثًا عليه[٦٩]:

مَنْ جَعَلَ الصَّبْرَ فِي مَقَاصِده ... وَفِي مَرَاقِيهِ سُلَّمًا سَلِما
وَالصَّبْرُ عَوْنُ الفَتَى وَنَاصِرُهُ ... وَقَلَّ مَنْ عَنْهُ نَدَّ مَا نَدِمَا
كَمْ صَدْمَةٍ لِلزَّمَانِ مُنْكَرَةٍ ... لَمَّا رَأَى الصَّبْرَ صَدَّ مَا صُدِمَا
فَاصْبِرْ فَإِنَّ الزَّمَانَ عَنْ كَثَبٍ ... يَأْسُو عَلَى الرَّغْمِ كُلَّمَا كَلَمَا

ونجد لأبي العتاهية[٧٠] موقفًا من الصبر كموقفه من الحياة وإيمانه بحسن العاقبة عندما يكون الصبر سلاحًا إلى ما يريد الإنسان وما يطمع به، فاسمعه يقول:

اِصْبِرْ عَلَى نُوَبِ الزَّمَا ... نِ وَرَيْبِهِ وَتَقَلُّبِهْ
لاَ تَجْزَعَنَّ فَمَنْ تَعَتَّ ... بَ دَامَ وَصْلُ تَعَتُّبِهْ
شَرَفُ الفَتَى طَلَبُ الكَفَا ... فِ بِعِفَّةٍ فِي مَكْسَبِهْ

---

[٦٨] المبرد: الكامل، ص ٣٠١.

[٦٩] المصدر السابق، ص ٣٠٢.

[٧٠] أبو العتاهية: ديوانه، ص٦٤.

www.mtenback.com

يَرْضَـــى بِقَسْـــمِ مَلِيْكِـــــهِ مُتَجَمِّـــــلاً فِي مَطْلَبِـــــهْ

وهذا الشريف الرضيُّ لا يجد أجمل من الصبر وأكرم مـــن الصـابرين حـين يقول[٧١]:

صَبْرًا فَمَـا الفَـايِزُ إلاَّ مَـنْ صَـبَرْ إنَّ اللَّيَـالِيَ وَاعِـدَاتٌ بِـالظَّفَرْ

لاَبُدَّ أَنْ يِمْضِـي بِمَـا فِيْـهِ القَـدَرْ يَلقَى الفَتَى مِنْ دَهْرِهِ خَـيْرًا وَشَـرْ

ويقول أيضًا داعيًا إلى الصبر على ما تخبئ الأيام مهما كان الأمر، وعلى الإنسان أن يتلقى الحوادث بخواتيمها مهما كانت:

صَـبْرًا عَلَـى نُـوَبِ الزَّمَـا نِ وَإِنْ أَبَـى القَلْـبُ القَرِيْـحُ

فَـلَرُبَّ مُبْتَسِـمٍ، وَقَـدْ أَخَـذَتْ مَآخِذَهَـا الجُـرُوحُ

وَلِكُـلِّ شَـيْءٍ آخِـرٌ إِمَّـا جَمِيْـلٌ أَوْ قَبِيْـحُ

وجاء في يتيمة الدهر[٧٢] قول لشاعر يوصي بالصبر الجميل، وهو معنى لطيف خفي على كثير من الناس، إذ جعل الصبر أمرًا يتعرض للإنفاق، ويجود به المرء كما يجود بالمال فيبقى الإنفاق، ولا يَخشى الفقرَ من كان إنفاقه من الصبر. إنه معنى حسن يستحق التأمل في خواطر هذه الأبيات ومعانيها وحُسْنِ تأتّي الشاعر لما أراد وصفه:

أَنْفِقْ مِـنَ الصَّـبْرِ الجَمِيْـلِ فَإِنَّـهُ لَمْ يَخْشَ فَقْرًا مَنْفِـقٌ مِـنْ صَـبْرِهِ

وَالمَـرْءُ لَيْـسَ بِبَـالِغٍ فِي أَرْضِـهِ كَالصَّقْرِ لَيْـسَ بِصَـائِدٍ فِي وَكْـرِهِ

---

[٧١] الشريف الرضي: ديوانه، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ت) م١، ص٦٢٠.

[٧٢] الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ج١، ص٨٤.

www.mtenback.com

وجاء في رسالة الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز قوله[٧٣]: «... واعلم يا أمير المؤمنين أن الصبر وإن أذاقك تعجيل مرارته فلنعم ما أعقبك ترطيب حلاوته وحسن عاقبته، وأن الهوى وإن أذاقك طعم حلاوته، فلبئس ما أعقبك من مرارته وسوء عاقبته». وظاهرٌ أن غاية نصيحته إلى الأمير هو تقوية الصبر والحث عليه، وجعله قيمة اجتماعية وخلقًا محمودًا. وقد بين الحسن البصري موقفه الجلي من الصبر في رسالة أخرى إلى عمر نفسه حيث يصف حال الدنيا، وأنه لا يصلح معها إلا الصبر قائلاً: «الصبر على لأوائها أيسر من احتمال بلائها، واللبيب من حذرها، ولم يغتر بزينتها، فإنها غدارة ختالة خداعة... والحازم اللبيب من كان فيها كالمداوي جراحه يصبر على مرارة الدواء ويرجو من الله العافية».

ومن جميل ما قيل في الصبر على المكاره، وأنه دليل همة عالية، ونفس أبيَّة، تتصف بالإقدام والبحث عما يسعد الإنسان قول أبي تمام[٧٤]:

إِنْ كَانَ غَيَّرَكَ الإِثْرَاءُ وَالنِّعَمُ ... فَلَنْ يُغَيِّرَنِي عَنْ مُحْتَدِي العَدَمُ

إِذَا أَنَاخَ عَلَيَّ الدَّهْرُ كَلْكَلَهُ ... قَرَاهُ صَبْرًا وَعَزْمًا مِنِّيَ الكَرَمُ

وَإِنْ عَلَتْنِي مِنْ أَزْمَانِهِ ظُلَمٌ ... صَبَّرْتُ نَفْسِي حَتَّى تُكْشَفَ الظُّلَمُ

فَكُلُّ هَذَا مَنَحْتُ الحَادِثَاتِ بِهِ ... إِنِّي امْرُؤٌ لَيْسَ يَرْضَى الضَّيْمَ لِي هِمَمُ

أما العسكري، فلا نجده يبعد عن المعنى المشترك الذي يتداوله الناس في قيمة الصبر ومحاولة مصارعة الزمان الذي يتخذ الصبر سلاحًا فيقول[٧٥]:

---

[٧٣] صفوت: جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة. انظر أيضًا: الحسن البصري لابن قيم الجوزية، ص٥٤.

[٧٤] أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي: ديوانه، تحقيق: د. شاهين عطية، دار صعب، بيروت، ص٤٢٨.

[٧٥] العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله: ديوان العسكري، المطبعة التعاونية، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، (١٤٠٠هـ/١٩٧٩م) ص١١٠.

www.mtenback.com

الصَّبْرُ عَمَّنْ تُحِبُّهُ صَبِرُ ... ونَفْعُ مَنْ لاَمَ فِي الهَوَى ضَرَرُ
مَنْ كَانَ دُونَ المُرَامِ مُصْطَبِرًا ... فَلَسْتُ دُونَ المُرَامِ أَصْطَبِرُ
مَنْفَعَةُ الصَّبْرِ غَيْرُ عَاجِلَةٍ ... وَرُبَّمَا حَالَ دُونَهَا الغِيَرُ
فَقُمْ بِنَا نَلْتَمِسْ مَآرِبَنَا ... أَقَامَ أَوْ لَمْ يَقُمْ بِنَا القَدَرُ
إِنَّ لَنَا أَنْفُسًا تُسَوِّدُنَا ... أَعَانَهُنَّ الزَّمَانُ أَوْ يَذَرُ
وَابْغِ مِنَ العَيْشِ مَا تُسَرُّبِهِ ... إِنْ عَذَلَ النَّاسُ فِيهِ أَوْ عَذَرُوا

ويقول أيضًا مصبرًا نفسه على ما يأتي به القدر من خير، فليست كل مصيبة تقع على المرء شرًا عليه فربما كانت تحمل في طياتها الخير له، إن عاجلاً أو آجلاً [٧٦]:

قَدْ كُنْتُ أَحْذَرُ مَا أَلْقَاهُ مِنْ نَكَدٍ ... لَوْ كَانَ يَنْفَعُنِي فِي مِثْلِهِ الحَذَرُ
يَا نَفْسُ صَبْرًا عَلَى مَا كَانَ مِنْ ضَرَرٍ ... فَرُبَّ مَنْفَعَةٍ يَأْتِي بِهَا الضَّرَرُ

ويقول ابن المعتز في كشف محاسن الصبر [٧٧]:

يَا نَفْسُ صَبْرًا لَعَلَّ الخَيْرَ عُقْبَاكِ ... خَانَتْكِ مِنْ بَعْدِ طُولِ الأَمْنِ دُنْيَاكِ
لَكِنْ هُوَ الدَّهْرُ لُقِّيَاهُ عَلَى حَذَرٍ ... فَرُبَّ حَارِسِ نَفْسِي تَحْتَ أَشْرَاكِ

والصبر تربية نفسية ومدرسية للمعاودة والتعلّم والاستفادة من تمرين النفس على قدرة التكيف حتى تستطيع النفس التعامل مع الواقع كما هو، لا كما يريده الإنسان، أو يتمناه. ومع عمرو بن معديكرب يردد الناس الأبيات التالية [٧٨]:

---

[٧٦] العسكري: ديوانه، ص ١١١.

[٧٧] ابن المعتز، عبد الله بن محمد: ديوانه، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت)، ص ٢٤٩.

[٧٨] الزبيدي: عمرو بن معد يكرب: ديوانه، جمع وتحقيق: مطاع الطرابيشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، (١٣٩٤هـ/١٩٧٤م)، ص ١٨٦.

www.mtenback.com

وَكَانَتْ عَلَى الأَيَّامِ نَفْسِي عَزِيزَةً فَلَمَّا رَأَتْ صَبْرِي عَلَى الذُّلِّ ذَلَّتِ
وَكَمْ غَمْرَةٍ دَافَعْتُهَا بَعْدَ غَمْرَةٍ تَجَرَّعْتُهَا بِالصَّبْرِ حَتَّى تَوَلَّتِ

وقد أخذ الشعراء المسلمون بتوطين دلالة الصبر فيما جدَّ في تعاليم الإسلام من معاني الصبر ودلالاته، فتحولت قيمته من معنى العزم وارتفاع النفس وتحدي الواقع إلى مطالب دينية وأمل في أن يجني الصبر حسن العاقبة في الآخرة، كما جنى حسن الذكر في الدنيا. وأول ما يمر معنا في هذا المعنى بيت أبي تمام حين يجعل عاقبة الصبر - إن احتسب الإنسان - خيرًا. أما إن جزع فحاله حال البهائم التي لابد أن تواجه المصائب مثل الإنسان ثم تسلو دون نوال الأجر[٧٩]:

أَتَصْبِرُ فِي البَلْوَى عَزَاءً وَحِسْبَةً فَتُؤْجَرَ أَمْ تَسْلُو سُلُوَّ البَهَائِمِ

و مثل بيت أبي تمام السّابق يرى محمود الوراق عاقبة الصبر حيث يتعرض الإنسان للحسنات فيسر بها أو السيئات فيتصبر لها ويؤجر عليها [٨٠]:

فَأَيُّ النِّعْمَتَيْنِ أَعَمُّ فَضْلاً وَأَحْمَدُ فِي عَوَاقِبِهَا إِيَابَا
أَنِعْمَتُهُ الَّتِي أَهْدَتْ سُرُورًا أَمِ الأُخْرَى الَّتِي أَهْدَتْ ثَوَابَا
بَلِ الأُخْرَى وَإِنْ نَزَلَتْ بِكُرْهٍ أَحَقُّ بِشُكْرِ مَنْ صَبَرَ احْتِسَابَا

وقال ربيعة الرقي[٨١]، مبينًا أن شأن الحياة هو امتحان الإنسان بالبلاء، ولابد لمواجهته من الصبر، فالصبر شيمة الإنسان الكامل:

وَمَنْ صَاحَبَ الدَّهْرَ لاَقَى الَّذِي يَخَافُ عَلَى الرَّغْمِ مِن أَنْفِهِ

---

[٧٩] أبو تمام: ديوانه، ص ٣٠١.

[٨٠] الراغب الأصبهاني، حسين بن محمد: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، دار الآثار، بيروت، (د.ت)، ص٣٦٩.

[٨١] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

فَكُنْ حَـــازِمَ الـــرأْيِ واصْـــبِرْ لَـــهُ فَلِلْحُـــرِّ صَـــبْرٌ عَلَـــى ضَعْفِـــهِ

ولا يبعد أمية بن أبي الصلت عن ربط الفرج بشدة الغماء مع احتمال الصـــبر والقدرة على انتظار الفرج مثلما يحل عقال البعير فينطلق مسرعًا بعد عثرتـــه وربطـــه وحيرته[٨٢]:

صَـــبِّرْ النَّفْـــسَ عِنْـــدَ كُـــلِّ مُلِـــمّ إِنَّ فِي الصَّـــبْرِ حِيْلَـــةَ المُحْتَـــالِ

لاَ تَضِيقَـــنَّ بـــالأمورِ فَقَـــد يَكْـــ شِـــفُ غَمَّاؤُهـــا بِغَـــيْرِ احْتِيـــالِ

رُبَّمَا تَجْزَعُ النُّفُـــوسُ مِـــنَ الأَمْـــ ـــرِ لَـــهُ فُرْجَـــةٌ كَحَـــلِّ العِقَـــالِ

وللشاعر العطوي[٨٣] رأيًا يشابه رأي أمية داعيًا إلى عدم اليأس، حاثًا على الصبر في كل حال، مبشرًا بأن الصبر طريق الفرج، وأن الاعتصام بالله والتعلق بـــه، يقـــوي عزيمة القلب ويثبته، قال:

مُسْتَشْعِرُ الصَّبْرِ مَقْرُونٌ بِـــهِ الفَـــرَجُ يَبْلَـــى وَيَصْـــبِرُ وَالأَشْـــيَاءُ تُنْتَهَـــجُ

حَتَّـــى إِذَا بَلَغَـــتْ مَقْـــدُورَ غَايَتِهَـــا جَاءَتْكَ تَضْحَكُ عَنْ ظَلْمَائِهَا السُّـــرُجُ

فَاصْبِرْ وَدُمْ وَاقْرَعِ البَابَ الَّذِي طَلَعَتْ مِنْـــهُ المَطَـــامِعُ فَـــالمُغْرَى بِـــهِ يَلِـــجُ

يُقَـــدِّرُ اللهُ فَـــارْجُ اللهَ وَارْضَ بِـــهِ فَفِـــي إِرَادَتِـــهِ الغَمَّـــاءُ تَنْفَـــرِجُ

ويقول أبو العتاهية [٨٤] داعيًا إلى عدم اليأس وانتظار الفرج، وأن رحمة الله أوسع من أن تضيق فلا تفرج:

هِـــيَ الأَيَّـــامُ وَالغِـــيَرُ وَأَمْـــرُ اللهِ مُنْتَظَـــرُ

---

[٨٢] أمية بن أبي الصلت: ديوانه نشره سيف الدين الكاتب، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، ص٦٢.

[٨٣] محمد بن عبد الرحمن العطوي: من شعراء الدولة العباسية.

[٨٤] أبو العتاهية، ديوانه، ص٦٥.

www.mtenback.com

أَتَيْـــأَسْ أَنْ تَـــرَى فَرَجًـــا فَـــأَيْنَ اللهُ وَالقَـــدَرُ

ومن أجود ما قاله شاعرٌ محدث في الصبر قول ابن الرومي[٨٥]:

أَرَى الصَّبْرَ مَحْمودًا وَعَنْهُ مُذَاهِـبُ فَكَيْفَ إِذَا ما لَمْ يَكُ عَنْـهُ مَّذْهَـبُ

هُنَاكَ يَحُقُّ الصَّبْرُ وَالصَّـبْرُ وَاجِـبٌ وَما كَانَ فِيهِ كَـالضَّرُورَةِ أَوْجَـبُ

فَشَدّ أَمْـرُؤ بـالصَّبْرِ كَفًّـا فَإِنَّـه لَـهُ عِصْمَـةٌ أَسْـبَابُها لا تُقَضّـبُ

واقترن الحلم بالصبر، وعبر عن ذلك أحد الشعراء مذكرًا بأن الدهر يطـوي في غيبه حوادث عجيبةً تقتضي الحلم والصبر، قال:

كُـنْ حَلِيْمًـا إذا بُلِيْـتَ بِغَيْـظٍ وصَبُـورًا إذا أَتَتْـكَ مُصِيْبَـهْ

فَاللَّيَـالِي مِـنْ الزَّمَـانِ حَبَـالَى مُثْقَـلاتٌ يَلِـدْنَ كُـلَّ عَجِيْبَـهْ

وكذلك قرن الشاعر طلب المعالي والسؤدد بالصبر، وأن الصبر لن يـؤدي إلى الندم على كل حال، قال:

أَيَا صَاحِبِي إِنْ دُمْتَ تَكْتَسِبُ العُـلا وَتَرْقَى إِلَى العَلْيَـاءِ غَـيْرَ مُزَاحَـمِ

عَلَيْكَ بِحُسْنِ الصَّبْرِ فِي كُلِّ حَالَـةٍ فَمَـا صَـابِرٌ فِيمَـا يَـرُومُ بِنَـادِمِ

وقال الشاعر في التأني والصبر، وقد قرن بين الصبر والاعتصام بالله، وأن عاقبته إلى خير:

اِصْبِرْ قَلِيْلاً وَكُـنْ بِـاللهِ مُعْتَصِمًـا لاَ تَعْجَلَـنَّ فَـإِنَّ العَجْـزَ بِـالعَجَلِ

الصَّبْرُ مِثْلُ اسْـمِهِ فِي كُـلِّ نَائِبَـةٍ لَكِنْ عَوَاقِبُهُ أَحْلَـى مِـنَ العَسَـلِ

[٨٥] ابن الرومي، أبو الحسن علي بن العباس بن جريج: ديوان ابن الرومي، تحقيق: د. حسين نصار، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ج١، ص٢٢٩.

www.mtenback.com

وقال آخر في نتيجة الصبر والتأني، مبينًا أنّ التأني بحدّ ذاته خير ولا يقود إلا إلى الخير:

تَـأَنَّ وَلاَ تَضِـقْ لِلأَمْـرِ ذَرْعَـا فَكَمْ بِـالنُّجْحِ يَظْفَـرُ مَـنْ تَـأَنَّى
تَـأَنَّ فَحَيْثُمَـا المَـرْءُ تَـأَنَّى يَنَـلْ نُجْحًـا وَيُـدْرِكْ مَـا تَمَنَّـى

وقال آخر في التأني والصبر على الأصدقاء:

تَأَنَّ وَلاَ تُعْجِـلْ بِلَوْمِـكَ صَاحِبًـا لَعَـلَّ لَـهُ عُـذْرًا وَأَنْـتَ تَلُـومُ

هذه منزلة الصبر في الشعر العربي، وقد تبوأت مكانتها عند الشعراء، حتى إن المرء ليحسبهم يفردون للصبر فنًا مستقلاً ضمن فنون الشعر وأغراضه. وما جاء في الصفحات السابقة ليس إلا أمثلة امتدت على مساحة الزمن، لا فرق بين جاهلي أو إسلامي أو متأخر عند معالجة قضية الصبر، فالوجه واحد، والحصيلة واحدة. وأن للصبر منزلة لا يكاد يبلغها إلا من وهبه الله حسن التوفيق. وقد لاحظنا تحول كثير في معاني الصبر ومراد الصابرين. كما أن الشعراء الذين مثلوا علاقة الصبر بالحياة ربطوا بين الصبر والنجاح، وبين الصبر والأجر، وبين الصبر والذكر الحسن. وكل هذا الاستقراء والتعدد هو مما أضفته التجربة الإنسانية وفاضت فيه الخبرة والعبرة. ولابد من الإشارة إلى التحول الكبير في معاني هذه القيمة وتطور دلالتها عبر الأجيال والأزمنة التي مرت بتجارب العرب في الجاهلية، ثم بما صبغها به الإسلام من رؤى أخرى انعكست في شعر شعراء الإسلام.

الصبر في الحروب:

تغنى العرب في الجاهلية والإسلام بالصبر والإقدام في الحروب. وكان الشاعر الجاهلي يثير الحماس، ويزرع الصبر والصمود في نفوس الرجال في ميدان المعركة. فالصبر على مواجهة الخصوم لم يكن احتسابًا للمثوبة والأجر، بل كان برهانًا على

www.mtenback.com

الشجاعة والتجلّد، وهذا ما تدعو إليه حياة العربي، حتى إذا جاء الإسلام أخذ الصبر على الأذى منحىً دينيًا، إذ المسلم يحتسب الأذى في جنب الله، راجيًا المثوبة على ما يصيبه من مكروه. فإذا كان قتال العربي في الجاهلية لإثبات الشجاعة والقوة، فإن ثباته في المعارك في الإسلام لم يكن إلا لنيل إحدى الحسنيين إما النصر وإما الاستشهاد.

انظر ما قاله شاعر بني شيبان يصف معركة «ذي قار» المشهورة بين بني شيبان والفرس قبل الإسلام[٨٦]:

يا سَلْمُ إنْ تَسْأَلي عَنَّا فَلاَ كُشُفٌ ... عِنْدَ اللِّقَاءِ وَلَسْنَا بِالمَقَارِيْفِ

ظَلُّوا وَظَلَّتْ تَكُرُّ الخَيْلُ وَسْطَهُمُ ... بِالشَّيْبِ مِنَّا وَبِالمُرْدِ الغَطَارِيْفِ

وأشاد الأعشى قيس بصبر بني بكر وشيبان وإقدامهم، في صورة بارعة مؤثرة، فقال:

فِيْهَا فَوَارِسُ مَحْمُودٌ لِقَاؤُهُمُ ... مِثْلُ الأَسِنَّةِ لا مِيْلٌ ولا كُشُفُ

ويقول نهشل بن حري بن حمزي في هذا المعنى أيضًا[٨٧]:

وَيَوْمٍ كَأَنَّ المُصْطَلِيْنَ بِحَرِّهِ ... وَإِنْ لَمْ تَكُنْ نَارٌ قِيامٌ على الجَمْرِ

صَبَرْنَا لَهُ حتى يَبُوخَ وإِنَّمَا ... تُفَرَّجُ أَيَّامُ الكَرِيْهَةِ بِالصَّبْرِ

وفي فجر الإسلام أكد القرآن الكريم على صفة الصبر والثبات عند العرب، وكان النبي ﷺ قد جسد صفتي الصبر والإقدام بشخصه، وعمقها في نفوس المسلمين منذ فجر الرسالة الإسلامية، وقد عانى في حياته كلها من الضغوط النفسية والبدنية التي كان يوجهها له المشركون، ولكنه تحلى بالصبر والإقدام في غزواته، وجميع ما واجهه

---

[٨٦] الراوي، حازم عبد القهار: الصبر والإقدام عند العرب، المكتبة الوطنية، بغداد، (د.ت)، ص٥١٠.

[٨٧] الأبشيهي: المستطرف، م١، ص٦٠.

www.mtenback.com

من أذى قومه. وكان إذا لقي العدو قام في الناس يقول: «إذا لقيتموهم فاثبتوا واصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف»[٨٨].

وقد حذا الخلفاء الراشدون حذو النبي الكريم ﷺ في تعميق هذه الصفات العربية الأصيلة؛ فالخليفة الصديق رضي الله عنه يقول لعكرمة حين وجهه إلى عمان[٨٩]، «لا تعدن معصية بأكثر من عقوبتها، فإن فعلت أثمت، وإن تركت كذبت، ولا تؤمنن شريفًا دون أن يكفل بأهله، ولا تكفلن ضعيفًا أكثر من نفسه، واتق الله فإذا لقيت فاصبر».

ويوصي الخليفة عمر رضي الله عنه أحد جيوشه بقوله[٩٠]: «باسم الله وعلى عون الله امضوا بتأييد الله بالنصر وبلزوم الحق والصبر».

ولقد طلب عمر رضي الله عنه من عمرو بن معد يكرب أن يخبره عن الحرب فأجابه: «مرة المذاق، إذا قلصت عن ساق، ومن صبر فيها عرف، ومن ضعف تلف».

وقد خاطب أكثم بن صيفي النعمان بن خميصة البارقي يوصيه بالصبر قائلاً[٩١]: «..... حيلة من لا حيلة له الصبر، كونوا جميعًا فإن الجمع غالب...».

فالصبر هو الوسيلة الوحيدة لمن أعيته الحيل والوسائل للوصول إلى ما يريد.

وكتب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة عامر بن الجراح حين حاصره أهل الشام[٩٢] محرضًا على الصبر والثبات: «سلام عليك أما بعد... فإنه لم تكن شدة إلا جعل الله بعدها فرجًا، ولن يغلب عسر يسرين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا

---

[٨٨] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجهاد باب ٣٢، الحديث ٣٠٢٥.

[٨٩] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ص١٠٩.

[٩٠] المصدر السابق، ص١٠٩.

[٩١] صفوت: جمهرة رسائل العرب، العصر الجاهلي - الإسلامي، ص٢٧.

[٩٢] المصدر السابق، ص٢٨.

www.mtenback.com

وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.. لعمري إن قام لهم المسلمون وصبروا فأصيبوا لما عند الله خير للأبرار وقد أثنى الله على قوم بصبرهم فقال: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾، وليصبروا كيما يؤتيهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة.

ويقول أبو فراس[٩٣]، مبينًا أن الصبر يكاد يكون مستحيلاً في المعارك التي تحمرُّ فيها الحدق، لكنه بطل مغوار يصبر على ما لا يستطيع غيره الصبر عليه:

رَأَيْتُ الصَّبْرَ أَبْعَدَ مَا يُرَجَّى ... إِذَا مَا الجَيْشُ بِالغَازِين سَارَا

وَأَعْدَدْتُ الكَتَائِبَ مُعْلَمَاتٍ ... تُنَادِي كُلَّ آنٍ بِي سُعَارَا

وَقَدْ ثَقَّفْتُ لِلْهَيْجَاءِ رُمْحِي ... وَأَضْمَرْتُ المَهَارِيَ وَالمِهَارَا

وجاء في خطبة لعبد الله بن طاهر في الحرب قال[٩٤]:

«فليكن الصبر معقلكم الذي إليه تلجؤون، وعدتكم التي بها تستظهرون، فإنه الوزر المنيع الذي دلكم الله عليه والجنة الحصينة التي أمركم الله بلباسها وأيدكم الله بعز النصر ووليكم بالحياطة والنصر».

ويقول الشاعر[٩٥]:

بَكَى صَاحِبِي لَمَّا رَأَى المَوْتَ فَوْقَنَا ... مُطِلاً كَإِطْلاَلِ السَّحَابِ إِذَا اكْفَهَرْ

فَقُلْتُ لَهُ لا تَبْكِ عَيْنَكَ إِنَّمَا ... يَكُونُ غَدًا حُسْنُ الثَّنَاءِ لِمَنْ صَبَرْ

فَمَا أَخَّرَ الإِحْجَامُ يَوْمًا مُعَجَّلاً ... وَلا عَجَّلَ الإِقْدَامُ ما أَخَّرَ القَدَرْ

---

[٩٣] أبو فراس الحمداني: ديوانه، دار صادر، بيروت، (١٩٦٨م) ص١٣٤.

[٩٤] صفوت: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج٣، ص١٤٥.

[٩٥] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص١٠١.

www.mtenback.com

وكان خالد بن الوليد يسير بين الصفوف يذمر الناس مذكّرًا بدور الصبر في المعركة وما يورثه من قدرة على الثبات في القتال، ويقول[٩٦]: «يا بني الإسلام إن الصبر عز، وإن الفشل عجز، وإن النصر مع الصبر».

وقيل للمهلب[٩٧] بن أبي صفرة: إنك لتلقي نفسك من المهالك، فقال إن لم آت الموت مسترسلاً أتاني مستعجلاً، وإني لست آتي الموت من حبه، وإنما آتيه من بغضه وتمثل قول الحصين بن الحمام:

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ ... لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَا

وذكر القصيدة التي تكشف عن دور الصبر في انتصارات هذا القائد المتواليـة، يقول:

فَلَسْنَا عَلَى الأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُومُنَا ... وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدِّمَا

نُفَلِّقُ هَامًا مِنْ كِرَامٍ أَعِزَّةٍ ... عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمَا

وَلَمَّا رَأَيْنَا الصَّبْرَ قَدْ حِيلَ دُونَهُ ... وَإِنْ كَانَ يَوْمًا ذَا كَوَاكِبَ مُظْلِمَا

صَبَرْنَا وَكَانَ الصَّبْرُ مِنَّا سَجِيَّةً ... بِأَسْيَافِنَا يَقْطُرْنَ كَفًّا وَمِعْصَمَا

وَلَمَّا رَأَيْتُ الوُدَّ لَيْسَ بِنَافِعِي ... عَمَدْتُ إِلَى الأَمْرِ الَّذِي كَانَ أَحْزَمَا

فَلَسْتُ بِمُبْتَاعِ الحَيَاةِ بِسُبَّةٍ ... وَلَا مُرْتَقٍ مِنْ خَشْيَةِ المَوْتِ سُلَّمَا

وقال أبو تمام في فضيلة الصبر في الحرب، في صورة فنية جديدة ومبتكرة[٩٨]:

---

[٩٦] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص٤٦. انظر أيضًا: ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص ٩٧.

[٩٧] النويري، شهاب الدين بن أحمد: نهاية الأرب في فنون الأدب، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م، ج٣، ص ٢٢٨.

[٩٨] التبريزي، الخطيب: شرح ديوان أبي تمام، قدم له ووضع فهارسه: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، (١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ج١، ص٢٤١.

www.mtenback.com

قَلُّوا وَلَكِنَّهُمْ طَابُوا فَأَنْجَدَهُمْ جَيْشٌ مِنَ الصَّبْرِ لا يُحْصَى لَهُ عَدَدُ
إِذَا رَأَوا لِلمَنَايَا عَارِضًا لَبِسُوا مِنَ اليَقِينِ دُرُوعًا مَا لَهَا زَرَدُ
نَأَوْا عَنِ المُصْرَخِ الأَدْنَى فَلَيْسَ لَهُمْ إِلاَّ السُّيُوفُ عَلَى أَعْدَائِهِمْ مَدَدُ

وقال قطري بن الفجاءة أمير الخوارج يثبّت نفسه ويحضّها على الصبر في القتال:

أَقُولُ لَهَا وَقَدْ طَارتْ شَعَاعًا مِنَ الأَبْطَالِ وَيْحَكِ لَنْ تُرَاعِي
فَصَبْرًا فِي مَجَالِ الْمَوْتِ صَبْرًا فَمَا نَيْلُ الْخُلُودِ بِمُسْتَطَاعِ
سَبِيْلُ المَوْتِ غَايَةُ كُلِّ حَيّ وَدَاعِيه لأَهْلِ الأَرْضِ دَاعِي

وقالت امرأة من عبد القيس في مدح قومها وصبرهم، مشيرةً إلى أنّ الصبر دليل المروءة والنخوة وكرامة النفس:

أَبَوا أَنْ يَفِرُّوا وَالقَنَا فِي نُحُورِهِمْ وَلَمْ يَبْتَغُوا مِنْ خَشْيَةِ المَوْتِ سُلَّما
وَلَوْ أَنَّهُمْ فَرُّوا لَكَانُوا أَعِزَّةً وَلَكِنْ رَأَوْ صَبْرًا عَلَى المَوْتِ أَكْرَمَا

تلك أبيات متفرقة لشعراء مثلوا وجهة نظر المجتمع العربي، وعبروا عن نظرته إلى مواطن الصبر، في الحرب وما يكسبه المحاربون إذا تحلوا بالصبر وآمنوا بحسن العاقبة. وقد أكدت معاني الصبر خصالٌ كثيرة أهمها قوة الإرادة، ورغبة النصر، وانتظار الفرج الذي يأتي بدون شك إلى الصابرين، أو بمعنى آخر إلى الأكثر صبرًا والأطول تحملاً ولا سيما في المواقف التي تزلزل قلوب الرجال وهي مواقف الحرب وما تحققه من نصر يطمح بعاقبته القادرون على تبعاته، ويقابل هذا النتيجة الأخرى وهي الهزيمة والعار لمن عاش منهزمًا أو القتل لمن هرب منه طلبًا للنجاة. وقد أكدت معارف العرب وثقافتهم أن هناك تلازمًا بين البقاء والحياة الكريمة وبين الشجاعة والحرص على الموت فقالوا: «احرصوا على الموت توهب لكم الحياة»، وهو قول يحمل معاني قريبة مباشرة

www.mtenback.com

ومعاني بعيدة مدركة بالنظر والتفكير. فقد توهب الحياة المادية للمقاتل الشجاع عندما يتصدى لخصومه ويستعين برباطة جأشه فينتصر، وقد توهب الحياة له بمعناها المعنوي عندما يقتل مقبلاً شجاعًا في معركة البحث عن البقاء فيبقى حيًا ذكره وفعله. وقد جربت كلتا الحالتين وصدقت كلتا الروايتين.

الصبر في التعازي:

كان من أخلاق السابقين حسن التعزية ومواساة المصاب. فالتعزية هي التصبر، وذكر ما يُسلي أهل الميت ويخفف أحزانهم، ويهون مصابهم. والتعزية مستحبة. لأنها داخلة في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾[٩٩]، وهي مشتملة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما أنها من أحسن ما يستدل به في التعزية. وقد فرض الله على الإنسان الشكر إذا أعطى والصبر إذا ابتلى، ووعد بالأجر الكبير على الصبر والاحتساب، لأن الجزع لا يرد ميتًا، ولا يطرد حزنًا. وقد كتب رسول الله ﷺ إلى معاذ بن جبل رضي الله عنه، يعزيه بابن له مات [١٠٠]: «من محمد رسول الله إلى معاذ بن جبل: سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد، فعظم الله لك الأجر وألهمك الصبر، ورزقنا وإياك الشكر، ثم إن أنفسنا وأهلينا وموالينا من مواهب الله السنية، وعوارفه المستودعة نمتع بها إلى أجل معدود، وتقبض لوقت معلوم، ثم افترض علينا الشكر إذا أعطى والصبر إذا ابتلى...».

وقد اتخذت التعازي أشكالاً مختلفة في مظاهرها، فمنها النثر، ومنها الشعر. فمما جاء من المنظوم قول ابن همام السلولي يعزي يزيد بن معاوية قائلاً[١٠١]:

---

[٩٩] سورة المائدة: الآية ٢.

[١٠٠] صفوت: جمهرة رسائل العرب، العصر الجاهلي، الإسلامي، ص٦٦.

[١٠١] المبرد: الكامل، ط١، ج٣، ص١٢٧٠؛ وانظر المستطرف في كل فن مستظرف، ص٣٦٤.

www.mtenback.com

اصْبِرْ يَزِيْدُ فَقَدْ فَارَقْتَ ذَا مِقَةٍ ... وَاشْكُرْ بَلاَءَ الَّذِي بِالْمُلْكِ أَصْفَاكَا

لاَ رِزْءَ أَعْظَمُ فِي الأَقْوَامِ نَعْلَمُهُ ... كَمَا رُزِئْتَ وَلا عُقْبَى كَعُقْبَاكَا

وَفِي مُعَاوِيَةَ البَاقِي لَنَا خَلَفٌ ... إِذَا نُعِيْتَ وَلا نَسْمَعْ بِمَنْعَاكَا

كما أن منها ما اتخذ شكل النصيحة والوصية من نحو ما جاء في محاضرات الأدباء قول الشاعر[١٠٢] ينبه إلى أن الجزع لا يفيد ولكن الصبر خير، ويرى أن الاعتماد على جبلة الصبر أولى وأجدر بالإنسان أن يركن إليه حين لا ينفع الجزع ولا يغير واقعًا مهما كان، وإذا كان الجزع لا يغير شيئًا فإن الصبر أولى:

فَإِنْ تَصْبِرَا فَالصَّبْرُ خَيْرُ مَغَبَّةٍ ... وَإِنْ تَجْزَعَا فَالأَمْرُ مَا تَرَيَانِ

وقال آخر[١٠٣] في عرض حسنات التمسك بالصبر وعدم الجزع ما يلي:

إِذَا أَتَتْكَ مُصِيْبَةٌ فَاصْبِرْ لَهَا ... عَظُمَتْ مُصِيْبَةُ مُبْتَلًى لا يَصْبِرُ

وعزى الإمام الشافعي[١٠٤] – رحمه الله – صديقًا له فبيّن في تعزيته أن الموت نهاية كل إنسان في هذه الحياة الدنيا ومظهراً عجز الإنسان عن عمل شيء غير التذرع بالصبر. قال:

إِنَّا نُعَزِّيْكَ لاَ أَنَّا على ثِقَةٍ ... مِنَ الحَيَاةِ وَلَكِنْ سُنَّةَ الدِّيْنِ

فَمَا المُعَزَّى بِبَاقٍ بَعْدَ مَيِّتِهِ ... وَلا المُعَزِّي، وَلَوْ عَاشَا إِلَى حِيْنِ

فهذه الدنيا لم تعطِ إلا أخذت، ولم تسرّ إلا أحزنت، والموت سبيل محتوم على الأولين والآخرين، لا دافع عنه ولا مؤخر لما قضى الله عز وجل. لقد كتب بعضهم إلى

---

(١٠٢) الراغب الأصبهاني: محاضرات الأدباء، ص٩٩.

(١٠٣) الأبشيهي: المستطرف في كل فن مستظرف، ص٧٠.

(١٠٤) المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

صديق يعزيه بأخيه ويسليه[١٠٥]: «ما تصنع يا أخي: والقضاء نازل، والموت حكم شامل، وإن لم تلذ بالصبر فقد اعترضت على مالك الأمر، وأنت تعلم أن نوائب الدهر لا تدفع إلا بعزائم الصبر؛ فاجعل بين هذه اللوعة الغالبة والدمعة الساكبة حاجبًا من فضلك، وَحاجزًا من عقلك، ودافعًا من دينك، ومانعًا من يقينك، فإن المحن إذا لم تُعالج بالصبر كانت كالمنح إذا لم تقابل بالشكر فصبرًا صبرًا ».

وجاء في رسائل الجاحظ نماذج قصيرة من التعازي من نحو قوله[١٠٦]: «أما بعد فإن الماضي قبلك الباقي لك، والباقي بعدك المأجور فيك، إنما يُوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب».

وقوله: «أما بعد، فإن الصبر يعقبه الأجر، والجزع يعقبه الهلع، فتمسك بحظك من الصبر تنل به الذي تطلب، وتدرك به الذي تأمل» [١٠٧].

وقوله: «أما بعد، فإن في الله العزاء من كل هالك، والخلف من كل مصاب، وإنه من لم يتعز بعزاء الله تنقطع نفسه عن الدنيا حسرة»[١٠٨].

وللحسن بن وهب رسالة في التعزية يقول فيها[١٠٩]: «جبلك الله على التسليم لأمره، والرضا بقضائه، وصبرك على مواقع أقداره، واحتمال الحقوق لنعمته، إن الله عز وجل جعل النعم سبيلاً لاختبار الشكر، والمحن سبيل ابتلاء الصبر، وأحق الناس بالشكر على النعمة والصبر عند المحنة، من قرن الله له بين الحالين فلم يُخلِه من النعمة... التي حقها الشكر، ولا من المحنة التي حقها الصبر، وهي حالك التي أصبحت عليها بحمد الله إلى الأحوال المنتظرة لك بعدها، المرجوة زيادة الله إياك في أحسنها».

---

[١٠٥] الأبشيهي: المستطرف، في كل فن مستظرف، ص٧٠.

[١٠٦] صفوت: جمهرة رسائل العرب، العصر العباسي الأول، ص٢٨.

[١٠٧] المصدر السابق، ج٤، ص٥٤.

[١٠٨] المصدر السابق نفسه.

[١٠٩] المصدر السابق، ج٤، ص٢٨.

www.mtenback.com

وله وصية في الصبر يقول فيها:

«أما الصبر فمصير كل ذي مصيبة، غير أن الحازم يقدم ذلك عند اللوعة طلبًا للمثوبة، والعاجز يؤخر ذلك إلى السلوة فيكون مغبون نصيب الصابرين، ولو أن الثواب الذي جعل الله لنا على الصبر كان على الجزع لكان ذلك أثقل علينا، لأن جزع الإنسان قليل وصبره طويل، والصبر في أوانه أيسر مؤونة من الجزع بعد السلوة، ومع هذا فإن سبيلنا من أنفسنا على ما ملكنا الله منها ألا نقول ولا نفعل ما كان لله مسخطًا، فأما ما يملكه الله من حسن عزاء النفس فلا نملكه من أنفسنا» [١١٠].

وفي التعزية كتب جبل بن يزيد [١١١]: «من كان من نعمة الله، والعلم بالله، على مثل الذي حُبيت به، اقتصر برأيه وصحة فهمه على ما يعود عليه في العاجل والآجل أو بلغني وفاة فلان، فأعظم الله بها في المصائب مصيبة، وأجل بها في الأحداث نائبة، نور الله له في قبره، وعزم لك على الصبر، وبارك لنا ولك في الذي تؤول إليه العواقب».

وجاء في تعزية غسان بن عبد الحميد [١١٢] قوله: «... نسأل الله أن يعظم في الماضي الأجر، ويمنحك من الباقي أفضل الحظ، ويعينك في المصيبة على أفضل الصبر وفي النعمة على أفضل الشكر» [١١٣].

وكتب ابن المقفع رسالة لصديق يعزيه في بنت له[١١٤]: «لا ينقص الله عددك، ولا ينزل عنك نعمته التي ألبسك، وأحسن العوض لك، وجعل الخلف لك خيرًا مما أرزأك به، وما أعطاك خيرًا مما قبض منك».

---

[١١٠] صفوت: جمهرة رسائل العرب، ج٤، ص١٧.

[١١١] المصدر السابق، ج٣، ص١٢١.

[١١٢] غسان بن عبد الحميد كان يكتب لجعفر بن سليمان بن علي وكان بليغًا حلو الكلام لطيف المعاني.

[١١٣] صفوت: جمهرة رسائل العرب، ج٣، ص ١٠٨.

[١١٤] المصدر السابق، ج٣، ص٥٦.

www.mtenback.com

وقال في تعزية صديق له عن ولد: «أعظم الله على المصيبة أجرك، وأحسن على جليل الرزء ثوابك، وعجل لك الخلف وذخر لك الثواب عليه»[١١٥].

وقال أيضًا في تعزية صديق له: «عليك بتقوى الله والصبر، وحسن الظن بالله، فإنه جعل لأهل الصبر صلوات منه ورحمة وجعلهم من المهتدين»[١١٦].

وقال البحتري [١١٧] في التعزية لمحمد بن يوسف عن المعتصم:

تَعَزَّ بِالصَّبْرِ وَاسْتَبْدِلْ أَسَـــىً بِأَسَـــى ... فَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ إِنْ غُيِّـــبَ القَمَـــرُ

ولأبي العتاهية أبيات في الحث على الصبر وتحسينه، وأن عاقبته حسنة والأمر به صالح، يقول فيها[١١٨]:

اِصْـــبِرْ لِكُـــلِّ مُصِيْبَـــةٍ وَتَجَلَّـــــدِ ... وَاعْلَـــمْ بِـــأَنَّ المَـــرْءَ غَـــيْرُ مُخَلَّـــدِ

أَوَ مَـــا تَـــرَى أَنَّ المَصَـــائِبَ جَمَّـــةٌ ... وَتَـــرَى المَنِيَّـــةَ لِلْعِبَـــادِ بِمَرْصَـــــدِ

مَنْ لَمْ يُصَبْ مِمَّنْ تَـــرَى بِمُصِيْبَـــةٍ ... هَـــذَا قَبِيْـــلٌ لَسْـــتَ فِيـــهِ بِـــأَوْحَدِ

وَإِذَا أَتَتْـــكَ مُصِيْبَـــةٌ تَشْـــجَى لَهَـــا ... فَـــاذْكُرْ مُصَـــابَكَ بِـــالنَّبِيِّ مُحَمَّـــدِ

وجاء عند صفيّ الدين الحلّي [١١٩] من العزاء ما يحث فيه على الصبر ويذكر فيه الأجر. ولا غرو أن تكون أكثر الوصايا بالصبر عند نزول الموت وهو أعظم نازل علـــى الإنسان حين يفقد عزيزًا أو قريبًا، فلا يجد الآخرون أفضل من مواساته بالصبر وتذكيره بالأجر:

فَلْذْ بِـــالصَّبْرِ فِي اللأْئِـــي وَأَحْسِـــنْ ... عَـــزَاءَكَ وَاغْتَنِـــمْ حُسْـــنَ الثَّـــوَابِ

---

[١١٥] صفوت: جمهرة رسائل العرب، ج٣، ص٥٦.

[١١٦] المصدر السابق، ج٣، ص٥٧.

[١١٧] البحتري: ديوانه، دار صادر، بيروت، (١٣٨٥هـ/١٩٦٩م) م١، ص٢٩٦.

[١١٨] أبو العتاهية: ديوانه، ص ١٢٩. انظر أيضًا القرطبي: بهجة المجالس وأنس المجالس.

[١١٩] صفي الدين الحلي: ديوانه، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص٣٨٧.

www.mtenback.com

وقال يعزي في بعض النوائب تنوب الإنسان من قصيدة طويلة يذكر فيها فضل الصبر:

كَذَا فَلْيَصْبِرِ الرَّجُلُ النَّجِيْبُ ... إِذَا نَزَلَتْ بِسَاحَتِهِ الخُطُوبُ

يَسُرُّ النَّفْسَ ثُمَّ يُسَرُّ حُزْنًا ... يَضِيْقُ بِبَعْضِهِ الصَّدْرُ الرَّحِيْبُ

وقال البحتري يسلي محمد بن يوسف على حبسه[١٢٠]:

وَمَا هَذِهِ الأَيَّامُ إِلاَّ مَنَازِلٌ ... فَمِنْ مَنْزِلٍ رَحْبٍ إِلى مَنْزِلٍ ضَنْكِ

وَقَدْ دَهَمَتْكَ الحَادِثَاتُ وَإِنَّمَا ... صَفَا الذَّهَبُ الإِبْرِيْزُ قَبْلَكَ بِالسَّبْكِ

أَمَا فِي نَبِيِّ اللهِ يُوسُفَ أُسْوَةٌ ... لِمِثْلِكَ مَحْبُوسٌ عَلى الظُّلْمِ والإِفْكِ؟!

أَقَامَ جَمِيْلَ الصَّبْرِ فِي السَّجْنِ بُرْهَةً ... فَآلَ بِهِ الصَّبْرُ الجَمِيْلُ إِلى المُلْكِ

وقد عزى رجل رجلاً في ابنه[١٢١] فقال: «إنما يستوجب على الله وعده من صبر بحقه، فلا تجمع إلى ما أصبت به من المصيبة الفجيعة بالأجر، فإنها أعظم المصيبتين عليك وأنكى الرزيتين لك»

وعزى ابن أبي السماك[١٢٢] رجلاً فقال: «عليك بالصبر، فبه يعمل من احتسب، وإليه يصير من جزع»

وقال عمر بن عبد العزيز[١٢٣]: «أما الرضاء فمنزلة عزيزة أو منيعة، ولكن جعل الله في الصبر مُعَوَّلاً حسنًا».

---

[١٢٠] البحتري: ديوانه، ج٢، ص٨٦٠.

[١٢١] ابن قيم الجوزية: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ص ٨١.

[١٢٢] المصدر السابق، ص٨٠.

[١٢٣] المصدر السابق، ص٨١.

www.mtenback.com

وحدث بعضهم[١٢٤]، قال: «قد مات ابن لي نفيس، فقلت لأمه: اتقي الله واحتسبيه واصبري فقالت: مصيبتي أعظم من أن أفسدها بالجزع».

وقال خالد بن عثمان القرشي «كان سعيد بن جبير يعزيني في ابني فرآني أطوف بالبيت متقنعا، فكشف القناع عن رأسي وقال: «الاستكانة من الجزع».

وهكذا نجد الجزع والصياح والنياحة عند المصائب والصدمات ليست من الصبر، وأن اليقين بالله عز وجل وحسن الظن به، والصبر عند الصدمة الأولى. والاسترجاع عند المصيبة من آداب الصبر التي يجب أن يتحلى بها المؤمن دائما. وقد ورد في الحديث: «تنزل المعونة على قدر المؤونة، وينزل الصبر على قدر المصيبة»[١٢٥].

وقوله عليه الصلاة والسلام: «ثلاث من رزقهن فقد رزق خير الدنيا والآخرة: الدعاء في الرخاء، الرضا بالقضاء، والصبر عند البلاء»[١٢٦].

وقال علي رضي الله عنه: «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له».

وقال محمد بن علي بن الحسين: «الصبر صبران؛ فصبر عند المصيبة حسن جميل، والصبر عما حرم الله أفضل».

وكتب أبو الفضل بديع الزمان الهمذاني في التعازي، فقال: «يا سيدي؛ المصلب لعمر الله كبير، وأنت بالجزع جدير، ولكنك بالصبر أجدر والعزاء على الأعزة رشد كأنه الغي، وقد مات الميت فليحيا الحي».

---

[١٢٤] ابن قيم: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين،، ص ٨٢.

[١٢٥] القرطبي: بهجة المجالس وأنس المجالس م١، ج٢، ص٣٤٩.

[١٢٦] القرطبي: بهجة المجالس، ج٢، ص٣٤٩.

www.mtenback.com

وقال الشاعر في هذا المعنى:

وَإِنَّ الحَصى عِنْـــدَ الجَـــزُوعِ ثَقِيلَـــةٌ وَضَخْمُ الصَّفا عِنْدَ الصَّبُورِ خَفِيـــفُ

وقامت امرأة «الأحنف بن قيس» على قبره، ترثيه، وتشكو قلة صبرها، وتحاول تعزية نفسها بذكر جميل خصاله ومحامده:

لِلـــهِ دَرُّكَ يَـــا أَبَـــا بَحْـــرِ مَـــاذا تَغَيَّـــبَ مِنْـــكَ فِـــي القَـــبْرِ

لِلـــهِ دَرُّكَ أَيُّ حَشْـــوِ ثَـــرى أَصْبَحْتَ مِن عُـــرْفٍ وَمِـــنْ نُكْـــرِ

إِنْ كَـــانَ دَهْـــرٌ فِيـــكَ جَـــدَّ لَنَـــا حِدْثانُـــهُ وَوَهَـــتْ قُـــوَى الصَّـــبْرِ

فَلَكَـــمْ يَـــدٍ أَســـــديتها ويـــدٍ كَـــانَتْ تَـــرُدُّ جَرائِـــرَ الدَّهْـــرِ

والأعمال تخلد أصحابها بعد وفاتهم، وكثير من الناس يعيش خامد الذكـــر في الدنيا وكأنه ميت تحت الأرض، تقول ليلى الأخيلية في هذا المعنى:

لَعَمْرُكَ مَا بالموت عارٌ عَلَـــى الفَتَـــى إِذا لَمْ تُصِبْـــهُ فِـــي الحَيَـــاةِ المَعَـــايِرُ

وَما أَحَدٌ حَـــيٌّ وَإِن عَـــاشَ سَـــالِما بِـــأَخْلَدَ مِمَّـــنْ غَيَّبَتْـــهُ المَقَـــابِرُ

وَمَنْ كَانَ مِمَّا يُحْدِثُ الدَّهْرُ جَازِعًـــا فَلا بُدَّ يَوْمًا أَنْ يُـــرَى وَهْـــوَ صَـــابِرُ

وكتب إبراهيم بن يحيى الأسلمي إلى المهدي يعزيه في ابنته[١٢٧]: «أما بعد، فإن حقّ من عرف حق الله فيما أخذ منه من أعظم حق الله عليه فيما أبقى له، واعلـــم أن الماضي قبلك هو الباقي بعدك، وأن أجر الصابرين فيما يصابون به أعظم عليهم مـــن النعمة فيما يعافون منه».

[١٢٧] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٣، ص٥٢.

www.mtenback.com

وقال محمود الوراق[١٢٨] يمثل ويصوّر الإنسان العاقل في استعداده النفسي لحوادث الدهر قبل وقوعها، فإذا حلّت به كان أدعى لصبره وتماسكه وتعزية نفسه، وهذا خلاف حال الغافل الجاهل الذي لا يقدّر ما قد تأتي به الأيام، يقول:

يُمَثِّلُ ذُو اللُّبِّ فِي نَفْسِهِ ... مَصَائِبَهُ قَبْلَ أَنْ تَنْزِلا

فَإِنْ نَزَلَتْ بَغْتَةً لَمْ تَرُعْهُ ... لِمَا كَانَ فِي نَفْسِهِ مَثَّلا

رَأَى الهَمَّ يُفْضِي إِلَى آخَرٍ ... فَصَيَّرَ آخِرَهُ أَوَّلا

وَذُو الجَهْلِ يَأْمَنُ أَيَّامَهُ ... وَيَنْسَى مَصَارِعَ مَنْ قَدْ خَلا

فَإِنْ بَدَهَتْهُ صُرُوفُ الزَّمَانِ ... بِبَعْضِ مَصَائِبِهِ أَعْوَلا

وَلَوْ قَدَّمَ الحَزْمَ فِي أَمْرِهِ ... لَعَلَّمَهُ الصَّبْرَ عِنْدَ البَلا

وكتب ابن السماك[١٢٩] إلى الرشيد يعزيه بابن له «أما بعد فإن استطعت أن يكون شكرك لله حين قبضه أكثر من شكرك له حين وهبه، فإنه حين قبضه أحرز لك هيبته، ولو سلم لم تسلم من فتنته، أرأيت حزنك على ذهابه وتلهفك لفراقه: أرضيت الدار لنفسك فترضاها لابنك! أما هو فقد خلص من الكدر، وبقيت أنت معلقًا بالخطر، واعلم أن المصيبة مصيبتان إن جزعت، وإنما هي واحدة إن صبرت، فلا تجمع الأمرين على نفسك».

وكتب عبدالله بن طاهر إلى أبي دلف[١٣٠]: «المصائب حالة لا بد منها، فمنها ما يكون رحمة من الله ولطفًا بعبده، وآية ذلك أن يوفقه للصبر ويلهمه الرضا ويبسط أمله فيما عنده من الثواب الآجل والخلف العاجل، ومنها ما يكون سخطًا وانتقامًا أوله

---

[١٢٨] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٣، ص٥٣.

[١٢٩] المصدر السابق نفسه.

[١٣٠] المصدر السابق، ج٣، ص٥٥.

www.mtenback.com

حزن وأوسطه قنوط وآخره ندامة وهي المصيبة حقًا الجامعة لخسران الدنيا والآخرة و لم تزل عادة الله عندك الإخلاف والإتلاف، وإن يك مالك الآن أعظم مما أتى عليك في مواضي الأيام فالأجر المأمول على قدر ذلك».

وأورد صاحب عيون الأخبار رسالة أخرى يقول فيها: «... واعلم أن فرق ما بين ذي العقل وذي الجهل في مصيبتهما تعجل العاقل من الصبر ما يتأجل الجاهل»[١٣١].

ويورد قول الشاعر في هذا المجال، مبيّنًا أن الصبر على البلاء درس تربوي في حياة الإنسان، وإذا لم يستفد منه، كان شأنُه شأن البهائم[١٣٢]:

إذا أَنْتَ لَمْ تَسْلُ اصْطِبارًا وَحِسْبةً ... سَلَوْتَ عَلَى الأَيَّامِ مِثْلَ البَهائِمِ

ويتحدث شاعر آخر في هذا المعنى مبينًا ثواب من صبر، ويذكّر بأن الصبر على فقد متاع الدنيا أمرٌ يوجبه النظر في ثواب الآخرة، يقول[١٣٣]:

وَيَفْرحُ بِالشَّيْءِ المُعارِ بَقَاؤُه ... وَيَحْزَنُ لما صارَ وهْوَ لَهُ ذُخْرُ

عَلَيْكَ بِثوبِ الصَّبْرِ إذْ فِيهِ مَلْبَس ... فَإنَّ ابنكَ المَحْمودَ بَعْدَ ابْنِكَ الصَّبْرُ

ويقول آخر وقد آمن بالقضاء والقدر وما أعطى الله، وأنه ينتظر حوادث الدهر التي لابدّ منها، فيتلقاها بالصبر واحتساب الأجر عند الله سبحانه، يقول[١٣٤]:

وَقَدْ كُنْتُ حَيَّ الخَوْفِ قَبْلَ وَفَاتِهِمْ ... فَلَمَّا تُوُفُّوا مَاتَ خَوْفِي مِنَ الدَّهْرِ

فَلِلَّهِ ما أَعْطَى وَلِلَّهِ مَا جَزَى ... وَلَيْسَ لأَيّامِ الرَّزِيّةِ كَالصَّبْرِ

فَحَسْبُكَ مِنْهُمْ مُوحِشًا فَقْدُ بِرِّهِمْ ... وَحَسْبُكَ مِنْهُمْ مُسْلِيًا طَلَبُ الأَجْرِ

---

[١٣١] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٣، ص٥٦.

[١٣٢] المصدر السابق: ج٣، ص٥٨.

[١٣٣] المصدر السابق: ج٣، ص٤٨.

[١٣٤] المصدر السابق: ج٣، ص٥٩.

www.mtenback.com

وكان علي رضي الله عنه إذا عزى رجلاً يقول: «إن تجزع فأهل ذلك الرحم، وإن تصبر ففي الله عوض من كل فائت، وصلى الله على محمد، وعظم الله أجركم»[١٣٥].

وقريبًا من هذا المعنى قال علي بن الجهم[١٣٦]:

مَنْ سَبَقَ السَّلْوَةَ بِالصَّبْرِ ... فَازَ بِفَضْلِ الحَمْدِ وَالأَجْرِ

يا عَجَبًا مِنْ هَلِعٍ جَازِعٍ ... يَصْبِحُ بَيْنَ الذَّمِّ وَالوِزْرِ

مُصِيبَةُ الإِنْسَانِ فِي دِينِهِ ... أَعْظَمُ مِنْ جَائِحَةِ الدَّهْرِ

وفي فصل من كتاب لبعض الكتاب قرأ صاحب «عيون الأخبار» هذه الرسالة[١٣٧]: «لست أحتاج مع علمك بما في الصبر عند نازلة المصيبة من الفضيلة وما في الشكر عن حادث النعمة من الحظ إلى أكثر من الدعاء في قضاء الحقين، ولا إلى إخبارك عما أنا عليه من الارتماض لضرائك، والجذل بسرائك لمعرفتك بشركتي لك واتصال حالك بي في الأمرين».

ويتحدث بهاء الدين زهير عمن ذهب، وطواه الموت، وقد كان نعم الرفيق، ويتساءل بحُرقة: كيف سيستطيع التصبّر على غياب الحبيب الذي لم يكن يصبر عنه. يقول[١٣٨]:

أَرَاكَ هَجَرْتَنِي هَجْرًا طَوِيلا ... وَمَا عَوَّدْتَنِي مِنْ قَبْلُ ذَاكَا

عَهِدْتُكَ لا تُطِيقُ الصَّبْرَ عَنِّي ... وَتَعْصِي فِي وِدَادِيَ مَنْ نَهَاكَا

---

[١٣٥] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٣، ص٦١.

[١٣٦] المصدر السابق: ج٣، ص٦٥.

[١٣٧] المصدر السابق: ج٣، ص٦٨.

[١٣٨] البهاء زهير: ديوان البهاء زهير، دار بيروت، للطباعة والنشر، (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ص٢٤٧.

www.mtenback.com

فَكَيْفَ تَغَيَّرَتْ تِلْكَ السَّجايا ... وَمَنْ هَذَا الَّذِي عَنِّي ثَناكا
فَلاَ وَاللهِ مَا حَاوَلْتُ غَدْرا ... فَكُلُّ النَّاسِ يُعْذَرُ مَا خَلاكا
فَيَا مَنْ غَابَ عَنِّي وَهْوَ رُوحِي ... وَكَيْفَ أُطِيقُ مِنْ رُوحِي انْفِكاكا
وَمَا فَارَقْتَنِي طَوْعًا وَلَكِنْ ... دَهَاكَ مِنَ المَنِيَّةِ مَا دَهاكا

والأيام لا تدوم على حال، فيوم عسر ويوم يسر، وعلى الإنسان أن يصبر لكل ذلك، يقول الشاعر في ذلك:

إذا ما أَتَاكَ الدَّهْرُ يَوْمًا بِنَكْبَةٍ ... فَأَفْرِغْ لَها صَبْرًا وَأَوْسِعْ لَهَا صَدْرا
فَإِنَّ تَصارِيفَ الزَّمانِ عَجِيبَةٌ ... فَيَوْمًا تَرَى يُسْرًا وَيَوْمًا تَرَى عُسْرًا

وقال آخر، مقررًا أن المصائب تأتي على قدر شرف صاحبها ومروءته، فيكون منه صبرٌ كذلك، جدير بمثله:

عَلَى قَدْرِ فَضْلِ المَرْءِ تَأْتِي خُطُوبُهُ ... وَيُحْمَدُ مِنْهُ الصَّبْرُ مِمَّا يُصِيبُهُ
فَمَنْ قَلَّ فِيما يَتَّقِيهِ اصْطِبارُهُ ... لَقَدْ قَلَّ فِيما يَرْتَجِيهِ نَصِيبُهُ

وقال الشاعر في الدعوة إلى الصبر وأن الله يدبر الأمور خيرها وشرها:

اصْبِرْ قَلِيلا فَبَعْدَ العُسْرِ تَيْسِيرُ ... وَكُلُّ وَقْتٍ لَهُ أَمْرٌ وَتَدْبِيرُ
وَلِلْمُهَيْمِنِ فِي حالاتِنا نَظَرٌ ... وَفَوْقَ تَدْبِيرِنا لله تَدْبِيرُ

وقال الشاعر في هذا المعنى:

اصْبِرْ فَفِي الصَّبْرِ خَيْرٌ لَوْ عَلِمْتَ بِهِ ... لَكُنْتَ بارَكْتَ شُكْرًا صَاحِبَ النِّعَمِ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ إِنْ لَمْ تَصْطَبِرْ كَرَمًا ... صَبَرْتَ قَهْرًا عَلَى ما خُطَّ بِالقَلَمِ

www.mtenback.com

ووقفت أعرابية على قبر ابن لها ويقال له عامر[١٣٩]، وراحت تتمثّل معاني الصبر على فقدها لولدها، وتعزّي نفسها بكريم الأجر على جميل الصبر:

هُوَ الصَّبْرُ وَالتَّسْلِيمُ للهِ وَالرِّضا ... إِذا نَزَلَتْ بِي خُطَّةٌ لا أَشَاؤُها

إِذا نَحْنُ أُبْنا سَالِمِين بِأَنْفُسٍ ... كِرامٍ رَجَتْ أَمْرًا فَخَابَ رَجاؤُها

فَأَنْفُسُنا خَيْرُ الغَنِيمَةِ إِنَّها ... تَؤُوبُ وَيَبْقَى مَاؤُها وَحَياؤُها

وَلا بِرَّ إِلاّ دُونَ ما بَرَّ عامِرٌ ... وَلَكِنَّ نَفْسًا لا يَدُومُ بَقاؤُها

فَإِنْ أَحْتَسِبْ أُؤْجَرْ وَإِنْ أَبْكِهِ أَكُنْ ... كَباكِيَةٍ لَمْ يُحْيِ مَيْتًا بَكاؤُها

وما ذُكر من بليغ أشعار العرب وموقفهم يدل على مكانة الصبر عندهم وأهمية التعامل بينهم فيما يشجع على الصبر ويقوي النفس. وقد تكلم في هذا المعنى العلماء والفقهاء والشعراء والأدباء والمفكرون وأهل النّظر، وكل منهم أخذ من الصبر معنى لما يريد أن يصل إليه من ضروب التجلد والاعتماد على صلابة الذات أمام المصائب التي تلم بالإنسان وما يحتاجه فيها من مواقف الصبر، وفضائل التمسك به. وليس هذا فحسب، بل إن تعود الإنسان على هذا الخلق يزينه في عيون الآخرين ويرفع مكانته في نفوسهم. وليس الصبر محصورًا في المصائب والكوارث وما يحل بالمرء من صنوف الأذى، ولكن الصبر على العمل للمجد.

ومعالي الأمور هي أيضًا مما تمتليء به تجارب الناس ويحمدونه بعدما يصبرون كثيرًا، ويجدون نتائج الصبر وفضائل الاعتماد على الذات في المراد المطلوب. فالثروة لا يكسبها ويسعد بها إلا من يصبر على كسبها ويسافر من أجلها ويسهر في سبيلها. والعلم لا يأتي طوعًا ولا يحصل سهلاً، ولابد من معاناة طلبه والسهر في رواياته

[١٣٩] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص٤١٧. وانظر: المبرد: الكامل، ج٢، ص٥٤٢،

www.mtenback.com

وكتبه، والتعب له حتى يطيع ويحسن به الأخذ، ويسهل لطالبه القياد. والمكانة الاجتماعية التي يتطلع إليها الطامحون ويطلبها الرجال النابهون لا تأتي إلا بالصبر والانتظار الطويل في مواقف الجزع حتى يلين عصيها وتسمح الظروف بها ويعترف الأنداد بميزتها، وقل عن كل مطلب يطمح إليه الإنسان ويود تحصيله إن سبيله إليه هو الصبر في طلبه والمثابرة حتى يصيب بغيته ويحقق أمنيته.

والعرب تضرب الأمثال بصبر بعض الحيوانات وبعض الجمادات، لا للتهوين والاستهزاء، بل لما عرف عن بعض هذه الحيوانات من الصبر والقدرة على مقاومة المكاره كما عرف عن بعض الجمادات. من ذلك ما رواه العسكري وهو قولهم: «أَصْبَرُ مِنْ ضَبٍّ، لما فيه من القشّ واليَبَس».

وفي الصبر أيضًا: أَصْبَرُ مِنْ حمار. لأنه يحمل الحمل الثقيل، وليس في الحيوان أصبر من الجمل والحمار، حتى إن بعض الخلفاء لقب بالحمار لتحمله وصبره على الشدائد وقوة بأسه على المكروه. وقيل في الصبر أيضًا: أصبر من الأَثَافِي عَلَى النَّارِ، أَصْبَر من الأرضِ، أَصْبَر من حَجَرٍ، أَصْبَرُ من عَوْدٍ بجنبه جَلَبٌ، أصبر من ذي ضَاغِطٍ، وذو ضاغط هو: البعير الذي حزَّ مرفقُه جنبه. كما قالوا: «أصبر من جذل الطعان». ويضرب في الصبر على احتمال الشدائد في طلب المعالي، ويضرب لمن يؤمر بالصبر على ما يكره تهكما فيقال: «صبرًا على مجامر الكرم»[١٤٠].

«صبرك عن محارم الله أيسر من صبرك على عذاب الله»[١٤١].

و«صبر ساعة أطول للراحة».

---

[١٤٠] الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري: مجمع الأمثال، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط٢، (د.ت)، ج١، ص٥٤٦.

[١٤١] المصدر السابق، ج١، ص ٤٨٨.

www.mtenback.com

أما ما جاء في الحديث: «الصبر عند الصدمة الأولى»[١٤٢]. فإنما يعني أنه يُحمدُ صبر من صبر عند حرارة المصيبة.

وقد شخصوا الصبر فقالوا: «الصبر معول المسلم» أي الذي يستعين به. ويعتمد عليه في مواجهة المصائب والنوازل.

كما قالوا: «الصبر مفتاح الفرج». ويضرب في الحث على الصبر للوصول إلى الخلاص، ويضرب مثلاً للتجلد والاحتمال، لأن الشدة إذا استحكمت حلقاتها فذلك إشارة إلى قرب نهايتها.

وقالوا: «صبراً وإن كان قتراً أو قبراً» [١٤٣]. ويضرب في الحث على الصبر عند الشدائد والمشاق.

«الصبر صبران: أحدهما أفضل من الآخر: الصبر في المصيبات حسن وأفضل منه الصبر عما حرمه الله». وقد وضعوا في حسبانهم أن منزلة الصبر من الإيمان كمنزلة الرأس من الجسد، فإذا ذهب الصبر ذهب الإيمان، وأجرى الناس التفاضل في الصبر، فقالوا: فيمن يخفي حاجته ومصابه عن الناس: «أصبر الناس من ستر فاقته».

كما أن آثار الصبر تنعكس بالحسرة والندامة على الشامتين، وتشعرهم بضعفهم وقوة الصابر فقالوا: الصبر على المصيبة، مصيبة على الشامت.

بل إن بعض الناس لكثرة ما يصبر ويحتسب يكون له من صبره عادة، ويكون بينه وبين المصائب ألفة بالصبر عليها، فترى لسان حاله يقول: تعودت مُرّ الصبر حتى أَلِفتُه.

وأفضل مواجهة لكيد الكائدين وحسد الحاسدين تكون بالصبر. فالصبر يزعجهم وينغص سعادتهم حين لا يتيح لهم الصابرون مايريدون مَنْ التلذذ بجزع من تحل عليه المصيبة، وصبره حرب على أعدائه أو الشامتين به من عامة الناس. وقد جسد الشاعر هذا المعنى بقوله واصفًا حال الحاسد وحال الصابر:

---

[١٤٢] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ٤٢، حديث رقم ١٣٠٢.

[١٤٣] الميداني: مجمع الأمثال، ج١، ص ٤٨٨.

www.mtenback.com

اصْبِرْ عَلَى كَيْدِ الحَسُودِ فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهْ
فَالنَّارُ تَأْكُلُ نَفْسَهَا إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهْ

والصبر سبيل لبلوغ المرام، وطريق يقود في النهاية إلى السعادة، وربما استعذب المرء المكاره ليصل إلى ما يؤمل. وفي ذلك قالوا: «لن تنال ما تأمل إلا بالصبر على ما تكره. وقد قال المجربون اعمل بإخلاص وصبر، ثم لا تقلق إذا تأخرت النتائج، لأن جوائز الصبر حتمية ونهائية.

وقد وجدوا في تجارب الحياة أن النظر إلى ماعند الإنسان ومقارنته بما عند غيره قد تكون فيه تسرية لمن يراد له جرعات من الصبر فقالوا: من نظر في مصيبة غيره هانت عليه مصيبته، ولعل أشهر الأقوال وأكثرها سيرورة على ألسنة الناس اليوم هو القول المشهور «من صبر وتأنى نال ما تمنى ». ثم إن العرب تُجانس بين الصَّبْر في شدة وطأته والصُّبْر في شدة مرارته فتقول[١٤٤]: «الصبر كاسمه وعاقبته العسل».

وقالوا:

نَعاهُ لَنا كَاللَّيْثِ يَحْمِي عَرِينَهُ وكَالبَدْرِ يَغْشى ضَوْؤُهُ كُلَّ كَوْكَبِ
وَأَصْبَرُ مِنْ عَوْدٍ وَأَهْدَى إِذَا سَرَى مِنَ النَّجْمِ فِي داجٍ مِنَ اللَّيْلِ غَيْهَبِ

أما أجمع كلمة قيلت في الصبر وأصدق مثل ضرب فهي العبارة المشهورة: «الصبر مطية النصر». ولاشك أن هذه الأقوال وغيرها هي نتائج تجارب تراكمت في العقل العربي على مدى قرون طويلة، وكونتها ثقافة عربية امتحنت الأيام والليالي وعرفت شدة الحال ورخاء الموطن، واتخذت من هذه التجارب عظات ونصائح لمن قلت تجاربهم حتى تكون الخبرة التراكمية هي المعرفة الإنسانية والرصيد الصالح للاستفادة منه.

[١٤٤] الثعالبي: اللطائف والطرائف، ص ١١٣.

www.mtenback.com

وبعد هذه الحكم المنتقاة من كتب التراث التي تحث على الصبر في جميع المواقف حيث الصبر قوة إيمانٍ ورفع درجات في الآخرة. ومحبة الله للصابرين ومعيته لهم معية خاصة بتأييدهم وتوفيقهم وتثبيتهم لهو خير الكلام. فقد تكررت في أمثال العرب وفي أقوالهم أوجه الصبر ومطالبه والحالات التي يحسن فيها وضربوا ببعض الصابرين المثل، وقدروا تحمله على ما لا يستطيع غيره. في الأمثال العربية التي عُرِضت والتي اختزنت حكمتهم وتجاربهم في معنى الصبر ما يعطي دلالة على مكانة الصبر عند العرب قبل الإسلام وبعده، وهو خلق جعل الكثيرين من الناس يرجون القدرة عليه والتحلي به، لأن الإنسان بالصبر يستطيع الخروج من مضايق الحياة ومشكلاتها. وما أكثر مشكلات الحياة، وما أكثر ما يتمنى الإنسان أنه صبر في أمر عرض له أو قضية واجهته أو موقف تصرف فيه بغير الصبر فأخطأ التصرف، ولو صبر لقدر كما يقال في الحكم الخالدة على لسان العرب وفي تاريخهم وتراثهم وفي آدابهم التي تأدبوا عليها وحفظوها فحفظتهم.

الصبر في الهوى:

لهج الشعراء بنوع من الصبر وهو صبر العشاق وتحملهم الحرمان وصد المرأة التي تعلقت بها نفوسهم ومواجهة هذا الصد وأنهم تعاملوا معه بقدرة الصبر وأظهروا قسوة الصبر على حياتهم وعلائقهم بالجانب الآخر. وهذا الصبر وإن كان قابلاً لاحتجاج الشاعر ومبالغته، إلا أنه نال قسطًا وافرًا من لغة الشعر. فقد تمنّى عمر بن أبي ربيعة أن يكون صابرًا فعجز حيث يقول[١٤٥]:

وَفِي الصَّبْرِ عَمَّنْ لا يُؤَاتِيكَ رَاحَةٌ وَلَكِنَّهُ لا صَبْرَ عِنْدِي وَلاَ لُبُّ

ويقول أيضًا[١٤٦] داعيًا الله أن يلهمه الصبر على فراق أحبته:

---

[١٤٥] عمر بن أبي ربيعة: ديوانه، دار القلم، بيروت، (د.ت)، ص٣٣.

[١٤٦] المصدر السابق، ص٦٣.

www.mtenback.com

يَـا رَبِّ إِنِّـيْ قَـدْ شَـفَقْتُ بِـهِ أَعْقِـبْ فُـؤَادِيَ مِنْهُـمُ صَـبْرا

ويقول أيضًا [١٤٧] مبينًا حالته بعد فراقهم، وأن صبره الشديد قـد حـال دون انهياره:

وَقَدْ حَالَ دُونَ الكُفْرِ وَالغَدْرِ أَنَّنِـيْ أُعَالِجُ نَفْسًـا هَـلْ تُفِيْـقُ وَتَصْـبِرُ

ويفرغ صبره بعد فراق حبيبته فيقول [١٤٨]:

صَحَا القَلْبُ عَـنْ ذِكْـرِ أُمِّ البَنِـ ـينَ بَعْدَ الَّذِي قَدْ مَضَى فِي العُمُـرِ

وَأَصْبَـحَ طَـاوَعَ عُذَّالَـهُ وَأَقْصَـرَ بَعْـدَ الإِبَـاءِ الصَّـبُرِ

ولكنه لا يستطيع مرارة الفراق، ويصف شدة حاجته للصبر والتشبث به، لمـا أصبح بينه وبين ديار الحبيبة مسيرة ليلة! يقول:

أَأَتْرُكُ لَيْلَـى لَيْـسَ بَيْنِـيْ وَبَيْنَهَـا سِـوَى لَيْلَـةٍ إِنِّـي إِذًا لَصَبُـورُ

وفي هذا المعنى أيضًا يقول جميل بثينة [١٤٩]:

إِنِّي عَشِّـيَةَ رُحْـتُ وَهْـيَ حَزِيْنَـةٌ تَشْـكُو إِلَـيَّ صَبَابَـةً لَصَبُـورُ

ولكن صبره ينفد، ولا يستطيع أن يبعد، ويعجب أن كيف يصبر علـى بعـد حبيبته، مادام الحمام لا يصبر على مثل ذلك! يقول:

أَيَبْكِي حَمَامُ الأَيْكِ مِنْ فَقْـدِ إِلْفِـهِ وَأَصْبِرُ مَا بِي عَـنْ بُثَيْنَـةَمن صَـبْرِ

وعندما يفقد صبره وتصبر هي فإنه يحسدها ويفضلها بصبرهـا علـى نفسـه، ويتمنى لو استطاع ما استطاعت، ولكنه يفشل في ذلك فيلوم نفسه ويعلن عجزه.

---

[١٤٧] عمر بن أبي ربيعة: ديوانه، ص٩٩.

[١٤٨] المصدر السابق، ص١٠٩.

[١٤٩] جميل بثينة: ديوانه، عالم الكتب (د.ت)، ص٩١، ٩٥.

www.mtenback.com

لَوْ كَانَ لِي صَبْرُهَا أَو عِنْدَها جَزَعِي ... لَكُنْتُ أَمْلِكُ مَا آتِي وَمَا أَدَعُ

ولكن كثير عزة أكثر فهمًا وصبرًا على محبوبته إذ يقول [١٥٠]:

وَلَمَّا رَأَتْ وَجْدِي بِهَا وَتَبَيَّنَتْ ... صَبَابَةَ حَرَّانِ الصَّبَابَةِ صَادِ

أَدَلَّتْ بِصَبْرٍ عِنْدَهَا وَجَلَادَةٍ ... وَتَحْسَبُ أَنَّ النَّاسَ غَيْرُ جِلَادِ

فَيَا عَزَّ صَادِي القَلْبَ حَتَى يَوَدَّنِي ... فُؤَادُكِ أَوْ رُدِّي عَلَيَّ فُؤَادِي

ولم يكن الفارس الأمير الحمداني أبو فراس مختلفًا رغم فروسيته عن أصحاب المشاعر المتدفقة. فقد تحدث عن لواعج الحب وما يعانيه، ولكنه اتخذ الصبر سُلَّمًا إلى تحقيق الأمل الذي يرجوه فقال[١٥١]:

سَأَصْبِرُ إِنَّ الصَّبْرَ مُرٌّ صُدُورُهُ ... أَلاَ رُبَّمَا لَذَّتْ لِقَلْبِي عَوَاقِبُهْ

وَلاَبُدَّ أَنْ يُعْطَى عَلَى البُعْدِ دَوْلَةً ... فَنَأْمَنَ بَيْنًا، أَوْ رَقِيبًا نُرَاقِبُهْ

فَلاَ قَلْبَ لِي إِلاَّ وَأَنْتِ حِجَابُهُ ... وَلاَ سِرَّ لِي إِلاَّ وذِكْرُكِ حَاجِبُهْ

وفي الأبيات التالية يقسم صبره بين حالين صبره على الأسر في يد عدوه، وصبره على هجر المحب، وكلا الحالين لا يقابلان إلا بالصبر فيقول [١٥٢]:

إِرْثْ لِصَبٍّ فِيكِ قَدْ زِدتِهِ ... عَلَى بَلاَيَا أَسْرِهِ أَسْرا

قَدْ عَدِمَ الدُّنْيَا وَلَذَّاتِهَا ... لَكِنَّهُ مَا عَدِمَ الصَّبْرا

فَهُوَ أَسِيرُ الجِسْمِ فِي بَلْدَةٍ ... وَهْوَ أَسِيرُ القَلْبِ فِي أُخْرَى

ويقول أيضًا [١٥٣]:

---

[١٥٠] كثير عزة: ديوانه، ص

[١٥١] أبو فراس الحمداني: ديوانه، ص١٨٤.

[١٥٢] المصدر السابق، ص١٥٦.

[١٥٣] المصدر السابق، ص١٣٧.

www.mtenback.com

وَلي فِي كُـــلِّ يَـــوْمٍ مِنْـــكِ عَتْـــبٌ ... أَقُـــومُ بِـــــهِ مَقَـــــامَ الاعْتِـــــذَارِ
حَمَلْتُ جَفَـــاكِ لا جَلَـــدًا، وَلَكِـــنْ ... صَبَرْتُ عَلَى اخْتِيَارِكِ وَاضْطِـــرَارِي

وهو يبكي أحبته ويأمل بصبره أن يلقاهم فيقول [١٥٤]:

بَكَيْتُ فَلَمَّا لَـــمْ أَرَ الدَّمْـــعَ نَـــافِعِي ... رَجَعْتُ إِلى صَبْرٍ أَمَـــرَّ مِـــنَ الصَّـــبْرِ
وَقَدَّرْتُ أَنَّ الصَّـــبْرَ بَعْـــدَ فِرَاقِهِـــم ... يُسَاعِدُنِي وَقْتًا فَعَزَّيْتُ عَـــنْ صَـــبْرِي

ويقول ابن المعتز في الصبر على الحب وعلى الهوى قولاً جميلاً [١٥٥]:

قَالُوا تَصَـــبَّرْ قُلْـــتُ كَيْـــفَ وإِنَّمَـــا ... أُرِيْدُ الهَـــوَى حَتَّـــى أَلَـــذَّ وَأَنْعَمَـــا
وَيَأْخُذُ لَحْظُ العَيْـــنِ مِمَّـــن أُحِبُّـــهُ ... شِـــفَاءً وَأُلْقَـــى زَائِـــرًا وَمُسَـــلِّمَا
وَلَوْ كُنْتُ مِمَّنْ يَتَّقِي النَّاسَ فِي الهَوَى ... لَكَانَ تُقَـــى رَبِّـــيْ أَعَـــفَّ وَأَكْرَمَـــا

وقد يمر الإنسان بظروف يعرف أنه لا يقدر على شيء فيها إلا الصبر ولا شيء سواه، وعندئذ يتجلد ويعلن عن تجرده للصبر، كما قال أبو هلال العسكري في هـــذا المعنى [١٥٦]:

صَبَرْتُ وَلَكِن مَا صَـــبَرْتُ جَـــلادَةً ... لَكِـــنْ لِقِلَّـــةِ حِيلَتِـــي أَتَصَـــبَّرُ

ونقل المبرد في الجلد والصبر في الحب هذا القول [١٥٧]:

قَالُوا الرَّحِيْلَ فَمَا شَـــكَكْتُ بِأَنَّهَـــا ... نَفْسِيْ عَـــنِ الدُّنْيَـــا تُرِيْـــدُ رَحِيْـــلا
الصَّـــبْرُ أَجْمَـــلُ غَـــيْرَأَنَّ تَلَـــذُّذًا ... فِي الحُبِّ أَحْرَى أَنَ يَكُـــونَ جَمِيْـــلا

---

[١٥٤] أبو فراس الحمداني: ديوانه، ص١٣٣.

[١٥٥] ابن المعتز: ديوانه، ص٢٤٩.

[١٥٦] أبو هلال العسكري: ديوانه، ص١١٠.

[١٥٧] المبرد: الكامل، ص٣٣.

www.mtenback.com

وجاء في المستطرف[١٥٨] قول الشاعر داعيًا نفسه إلى الصبر حتى ينال ما يريد:

إِنَّمَا يَعْرِفُ الهَوَى مَنْ عَلَى مُرِّهِ صَبَرْ
نَفْسُ يَا نَفْسُ فَاصْبِرِي فَازَ بِالصَّبْرِ مَنْ صَبَرْ

وقبلها:

حَذَّرَتْنِي وَذَا الحَذَرْ لَيْسَ يُغْنِي مِنَ القَدَرْ
لَيْسَ مَنْ يَكْتُمُ الهَوَى مِثْلَ مَنْ بَاحَ وَاشْتَهَرْ

كل هذه الأبيات التي مرت تناولت موضوع الصبر في قضية ثنائية وعلاقة عميقة بين الرجل والمرأة إلا أن المعنى الذي ركز عليه الشعر هو أن الصبر لائق في كل شيء، وجميل في كل معنى وقريب من كل نجاح يتطلبه الصابرون ويرضون به ويحمدون نتائجه.

وإذا كان الصبر حسنًا في احتمال الآلام وقسوة فراق المحبين، أو الصبر على صدود المحبوب، فإن الصبر مذموم في حال التلهي عن المحبوب، لمقابلة صدوده بتصبر وتشاغل، وفي الأمرين ما فيهما من تنافر وتناقض لمقام الصبر. فصبر المرء على قسوة الظروف لحين لقاء محبوبه مختلف عن صبره عنه حتى يدع أنفته وكبرياءه ويرق لحاله.

وجاء في عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ما نصه [١٥٩]: إن الصبر عن المحبوب غير محمود فكيف إذا كان كمال العبد وفلاحته في محبته، ولم تزل الأحباب تعيب المحبين بالصبر عنهم كما قيل:

وَالصَّبْرُ عَنْكَ فَمَذْمُومٌ عَوَاقِبُهُ وَالصَّبْرُ فِي سَائِرِ الأَشْيَاءِ مَحْمُودُ

وقال آخر في الصبرعن محبوبه، في صورة جميلة مؤثرة:

---

[١٥٨] الأبشيهي: المستطرف في كل فن مستظرف، ص١٩٧.

[١٥٩] ابن قيم الجوزية: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ص ٤٥.

www.mtenback.com

إِذَا لَعِبَ الرِّجَالُ بِكُلِّ شَيْءٍ ... رَأَيْتُ الحُبَّ يَلْعَبُ بِالرِّجَالِ
وَكَيْفَ الصَّبْرُ عَمَّنْ حَلَّ مِنِّي ... بِمَنْزِلَةِ اليَمِيْنِ مِنَ الشِّمَالِ

وشكا آخر إلى محبوبه ما يقاسي من حبه فقال:

«لو كنت صادقًا لما صبرت عني» [١٦٠]:

وَلَمَّا شَكَوْتُ الحُبَّ قَالَتْ كَذَبْتَنِي ... تَرَى الصَّبَّ عَنْ مَحْبُوبِهِ كَيْفَ يَصْبِرُ

إن الصبر عن المحبوب نقيض الصبر عليه، ففي الأول معنى الصدود، وفي الثاني معنى التبعية والخضوع:

وقالت امرأة من قريش [١٦١]:

أَمَا وَالَّذِي لا خُلْدَ إِلاَّ لِوَجْهِهِ ... وَمَنْ لَيْسَ فِي العِزِّ المَنِيعِ لَهُ كُفْوُ
لَئِنْ كَانَ بَدْءُ الصَّبْرِ مُرًّا مَذَاقُهُ ... فَقَدْ يُجْتَنَى مِنْ غِبِّهِ الثَّمَرُ الحُلْوُ

وهذا من مقام الصبر على المحبوب لا عنه.

وكثير مثل ذلك عن الصبر وحالاته ما يحسن به الصبر ويجمل. ومما لا يمكن الصبر فيه من هذا المنهج مذهب أبي عمرو بن بكير الذي أنشد قائلاً:

صَبَرْتُ فَكَانَ الصَّبْرُ خَيْرَ مَغَبَّةٍ ... وَهَلْ جَزَعٌ يُجْدِي عَلَيَّ فَأَجْزَعُ
مَلَكْتُ دُمُوعَ العَيْنِ حَتَّى رَدَدْتُهَا ... إِلَى نَاظِرِي فَالعَيْنُ فِي القَلْبِ تَدْمَعُ

قال وأنشدني أحمد بن موسى الثقفي:

نُبِّئْتُ خَوْلَةَ أَمْسِ قَدْ جَزِعَتْ ... مِنْ أَنْ تَنُوبَ نَوَائِبُ الدَّهْرِ
لا تَجْزَعِي يَا خَوْلُ وَاصْطَبِرِي ... إِنَّ الكِرَامَ بُنُوا عَلَى الصَّبْرِ

---

[١٦٠] ابن قيم الجوزية: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ص٤٥.

[١٦١] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

بعد هذه الرحلة القصيرة مع الشعراء العشاق وتصوير آلامهم في الصبر، ترى ما الذي يقوله غير الشعراء غير العشاق في الصبر وكيف يجسدون واقع حياتهم، مع مرّ الصبر في ظروف وآفات يتعرضون فيها للهيب الصبر وقسوة الحياة والتحمل بأخلاق العرب وشيمهم ونحائزهم الكريمة.

الصبر في التربية:

الفضائل التي جاء بها الإسلام كثيرة تهيئ للإنسان حياةً متوازنةً رضيّةً، وتكفل له. إذا التزم بها. أن يقطع سبيل الحياة بأقل ضررٍ وأذىً فيها، ومن تلك الفضائل فضيلة الصبر واحتمال الأذى. وقد نوه القرآن الكريم وأشاد بالمتصفين بهذه الصفة، الذين تحلوا بها وجعلوها شعار حياتهم العملية، ولذلك جعل سبحانه أجر الصابرين أضعافًا مضاعفة. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[١٦٢]. وقد كان في خلق الرسول ﷺ الصبر؛ الذي كان يظهر في تحمله وحلمه وأناته، وزاد هذا الخلق ونما في نفس الرسول بألوان التربية التي أدبه الله بها، ثم بالتجارب الكثيرة التي مارسها في حياته، فكان أعظم قدوة حسنة للناس في فضيلة الصبر، وخلق الصابرين. فقد أمره الله بالصبر في أكثر من عشرين موضعًا من القرآن. منها قوله تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾[١٦٣] أي لابتغاء مرضاة ربك وحدك فاصبر. ولما واجهه الذين كفروا بالتكذيب والاتهام بأنه شاعر، وساحر، وكاهن، ومجنون، أمره الله بأن يصبر على ما يقولون. فقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾[١٦٤]. وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ. وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ

---

[١٦٢] سورة الزمر: الآية ١٠.

[١٦٣] سورة المدثر: الآية ٧.

[١٦٤] سورة المزمل: الآية ١٠.

www.mtenback.com

وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾[١٦٥]. وقال تعالى: ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[١٦٦]. وقال: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾[١٦٧]. وقال: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ. وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾[١٦٨].

ومع هذه الأوامر بالصبر على ما يقول الذين كفروا، شدّ من عزيمته بأن ذكر له من حال من سبقه من الرسل، ودواء نفسه وقلبه، والسلوك الخلقي الذي يعامل به المكذبين الذين يجرحونه بألوان الاتهامات ويشتمونه بمختلف الشتائم، ثم وعده وعدًا ضمنيًا بالحفظ والنصر. ففي التأسي قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾[١٦٩]، وفي مداواة نفسه وقلبه أمره بأن يسبح بحمد ربه قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، ومن آناء الليل وأطراف النهار، وإدبار السجود. ففي هذا التسبيح علاج روحي ونفسي عميق يفصله عن آلام الأرض ومتاعبها، ويقوي صلته بالله ويزيد من مراقبته له، فيفرغ الله عليه بذلك الطمأنينة والسكينة وراحة النفس والقلب وسعادتهما.

ولم يكن الصبر في التربية والسلوك إلا مثلاً يُقتدى به، وعادة محمودة لدى الناس. وقد تكرر في ثقافتنا الخالدة، وفي حضارة العرب المجيدة صورة السلوك الأفضل حتى صار قدوة يصلح عرضه على النشء ويقتدي الصغير بالكبير، وتقوى روابط الأمة إذا صدرت عن ثقافة مشتركة فيها من الأسوة الحسنة والخلق الكريم ما يعتز به الخلف عن السلف.

---

[١٦٥] سورة ق: الآيتان ٣٩-٤٠.

[١٦٦] سورة ص: الآية ١٧.

[١٦٧] سورة طه: الآية ١٣٠.

[١٦٨] سورة الطور: الآيتان ٤٨-٤٩.

[١٦٩] سورة ص: الآية ١٧.

www.mtenback.com

وهذا الكم الهائل من المأثور من أخلاق العرب وطباعهم، وهو مصدر إثراء للمعارف وزيادة في الحصيلة الثقافية. فإذا سمع الشباب الشعر الذي يحث على حسن الخلق أوالمثل الذي يرفع مكارم الأخلاق والقدوة الحسنة التي مرت في تاريخ الأمة، تاقت نفسه إلى تحمل الشدائد. وقد نقل عن الغزالي قوله: «إن المرء محتاج إلى الصبر في كل حال، فهو يحتاج إليه في السراء، كما يحتاج إليه في الضراء، وهو إليه في السراء أحوج، فالرجل كل الرجل من يصبر على العاقبة، والصبر على العاقبة بأن يراعي الصابر حقوق الله في ماله بالإنفاق منه في سبيل الخير، وفي بدنه ببذل المعونة للخلق وفي لسانه ببذل الصدق»[١٧٠].

وبهذا النوع من الصبر يكتسب الإنسان قوة العزم والإرادة، وقوة التحمل والشجاعة.

العاقبة لمن صبر واحتمل، والمجتمع السليم هو الذي يقدر الصابرين والجادين في حياتهم الذين لا يأخذ الملل طريقه إلى عقولهم أو قلوبهم، ويهون على النفس التعب والصبر على المشقة إذا كانت طموحات النفس قوية وطلبها للحياة النافعة مشروعًا، فيلذ الصبر ويخف مايعاني الصابر بعد طعم النجاح وإدراكه وقد صدق الشاعر حين قال[١٧١]:

إِذَا المَرْءُ لَمْ يَأْخُذْ مِنَ الصَّبْرِ حَظَّهُ تَقَطَّعَ مِنْ أَسْبَابِهِ كُلُّ مُبْرَمِ

فالصبر يهتدي صاحبه بنوره مستمرًا على الصواب، ويخرج من دائرة القلق والغضب إلى دائرة الرحمة والعفو والصفح عن الناس، قال الشاعر[١٧٢]:

---

[١٧٠] زكي مبارك: الأخلاق عند الغزالي، ص١٥٤.

[١٧١] الثعالبي: اللطائف والظرائف، ص ٨٥.

[١٧٢] المصدر السابق، ص ١١١.

www.mtenback.com

تَصَبَّرْ إِذَا مَا آلَمَتْكَ مُلِمَّةٌ ... وَأَهْوِنْ بِهَا مَا لَمْ تَسُمْكَ بِعَارِ
فَبَعْدَ قُطُوبِ النَّحْسِ بِشْرُ سَعَادَةٍ ... وَبَعْدَ ظَلَامِ اللَّيْلِ نُورُ نَهَارِ

العاقبة لمن صبر واحتمل، والمجتمع الصحيح الصادق هو ماقدس خلق الصبر وأمر به، ونهى عن الجزع.

أهم مجالات الصبر هو في طلب العلم، وله شروط كثيرة أهمها المثابرة، والجدُ في الحصول عليه، والرغبة فيه، والحب له، وكل ذلك لا يتم إلا بالصبر والتنازل عن بعض حقوق النفس سواء منها المادي أو المعنوي حتى إن بعض الروايات عن أهل العلم تقرن بين حصوله وذلة الذات له، الذل الذي يكسب العز والجاه والسؤدد إذا حصل العلم. وقد قال الشافعي: لايدرك العلم إلا بالصبر على الذل. ويعني بذلك تنازل النفس عن حقوقها المعنوية. وقد صدق الشاعر في شعره حين قال:

وَمَنْ يَصْطَبِرْ لِلْعِلْمِ يَظْفَرْ بِنَيْلِهِ ... وَمَنْ يَخْطُبُ الحَسْنَاءَ يَصْبِرْ عَلَى البَذْلِ
وَمَنْ لَمْ يُذِلَّ النَّفْسَ فِي طَلَبِ العُلَا ... يَسِيْرًا، يَعِشْ دَهْرًا طَوِيْلاً أَخَا ذُلِّ

والصبر ضروري في تربية الأولاد خاصة إن كنّ بنات وبالصبر، على التربية ينفتح للمربي باب من الأجر إذ يكتب له ستر من النار، كما في الحديث «من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن وأطعمهن وسقاهن وكساهن من جِدَتِه كنّ له حجابا من النار يوم القيامة»[173]. وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾[174].

---

[173] الألباني، محمد ناصر الدين: صحيح سنن ابن ماجة، كتاب الأدب، باب ٣، الحديث ٢٩٥٩.

[174] سورة طه: الآية ١٣٢.

www.mtenback.com

ولأن المؤمن إلف مألوف، فلابد أن يتزود بالصبر على أخطاء الناس ليتمكن من مخالطتهم، ومن إصلاح أحوالهم. وفي ذلك يقول ﷺ «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجرًا من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم»[١٧٥]. لأن المخالطة مع الصالحين تؤثر في سلوك الآخرين إذ يتبادل الناس وجهات النظر ويتواصون بالحق ويتناهون عن المنكر، فيتسع أفق التفكير ويستقيم السلوك، ويتسابق الفضلاء بالفضل والمحسنون بالإحسان، ويجدر بالإنسان أن يصبر على استفزاز الآخرين وإثارتهم، لأن عدم الصبر يؤدي إلى عواقب وخيمة وأضرارٍ غير متوقعة. وكظم الغيظ من صفات الصابرين، الذين يعرفون عائد الصبر ويحسنون التعامل مع عواقبه. وإذا كنا قد سقنا الصبر على مشكلات الدنيا ومصائبها حتى لكأن الصبر لايكون إلا عليها، فإن الجانب المشرق من الصبر ليس على المصائب، ولكنه الصبر على ممارسة الفضائل والتحلي بها، وهو صبر شديد على النفس، بل أشد من الصبر على المصائب. وقد صدق الشاعر حين قال[١٧٦]:

الدَّهْرُ أَدَّبَنِي وَالصَّبْرُ رَبَّانِي ... وَالفَوْتُ أَقْنَعَنِي وَاليَأْسُ أَغْنَانِي

وأَحْكَمَتْنِي مِنَ الأَيَّامُ تَجْرِبَةٌ ... حَتَّى نَهَيْتُ الَّذِي قَدْ كَانَ يَنْهَانِي

ويقول أيضًا في تصوير حال الصبور في صورة حسيّة مؤثرة [١٧٧]:

مَا أَحْسَنَ الصَّبْرَ فِي الدُّنْيَا وَأَجْمَلَهُ ... عِنْدَ الإِلَهِ وَأَنْجَاهُ مِنَ الجَزَعِ

مَنْ شَدَّ بِالصَّبْرِ كَفًّا عِنْدَ مُؤْلِمَةٍ ... أَلْوَتْ يَدَاهُ بِحَبْلٍ غَيْرِ مُنْقَطِعِ

---

[١٧٥] الألباني: صحيح سنن ابن ماجة، كتاب الفتن، باب ٢٣، الحديث ٣٢٥٧.

[١٧٦] الأبشيهي: المستطرف، ص٣٣٩.

[١٧٧] المصدر السابق، ص ٦١.

www.mtenback.com

ويقول بعضهم[١٧٨] مصوّرًا أجر الصابرين، وحالهم في الصبر على أحزان الحياة ومصاعبها:

بَنَى اللهُ لِلأَخْيَارِ بَيْتًا سَمَاؤُهُ هُمُومٌ وَأَحْزَانٌ وَحِيْطَانُهُ الضُّرُّ
وَأَدْخَلَهُمْ فِيْهِ وَأَغْلَقَ بَابَهُ وَقَالَ لَهُمْ: مِفْتَاحُ بَابِكُمُ الصَّبْرُ

وقال أيضًا في عاقبة الصبر والفوز، مبشّرًا ومثبتًا:

إِنِّيْ وَجَدْتُ وَخَيْرُ القَوْلِ أَصْدَقُهُ لِلصَّبْرِ عَاقِبَةً مَحْمُودَةَ الأَثَرِ
وَقَلَّ مَنْ جَدَّ فِي أَمْرٍ يُحَاوِلُهُ فَاسْتَصْحَبَ الصَّبْرَ إِلاَّ فَازَ بِالظَّفَرِ

والتربية الصالحة للأبناء تكون بالقدوة الحسنة، وعدم التبرم من أوضاع الحياة الصعبة، أو من المصائب التي تصيب الوالدين، فإن ذلك يعطي للأبناء درسًا مفيدًا في الصبر. أما إذا نفد صبر الوالدين وسيطر عليهما الجزع فإنه لا شك سيتأثر الأولاد بجزعهم وقلة صبرهم.

ثم إن مراقبة سلوك الأولاد وتهدئتهم إذا ضجروا، وتخفيف انفعالاتهم يعوّدهم على الصبر، والصبر يعودهم على طلب العلم. لذا كان حث الأبناء عليه ضرورة لحياتهم، وفي كل أمورهم. لذلك كله وجب على الوالدين أن يكونا القدوة الحسنة لأولادهما حتى ينشأ الطفل منذ صغره على الصبر، والإيمان القوي ليواجه الحياة فيما بعد بعزم وصدق وإيمان. وتعليم الأولاد مقاومة الشهوات، وكبح جماح النفس أمام المغريات والأهواء الشخصية يحتاج إلى إيمان قوي من الآباء والأمهات حتى ينتزعوا الأولاد ممّا يشدهم إلى هذه الملذات، والحياة لا تستقيم على وتيرة واحدة فهي لا تدع الغني غنيًا ولا الفقير فقيرًا، ولا تمنح كل إنسان ما يحب ويرغب دائمًا. لذا فالصبر على تحقيق الأماني يتطلب الجد والعمل، والإيمان بقضاء الله وقدره. هذا وإن الصبر على

[١٧٨] الثعالبي: اللطائف والظرائف، ص١١١.

www.mtenback.com

النعم والعطاء أصعب من الصبر على الابتلاء، وهنا كان على الوالدين تعريف أولادهما أن الدنيا قد تقبل على إنسان فيصبح غنيًا كبيرًا في فترة وجيزة، والمطلوب منه في هذه الحالة عدم الإسراف والترف والتعالي على الناس، بل يجب عليه مساعدة المحتاجين، ونجدة المظلومين والتواضع للضعفاء والمساكين، والصبر على احتمال الأذى، فالصبر على النعم والجاه أقوى من الصبر على الابتلاء.

وأخيرًا فالصبر على احتمال الأذى أن ينظر إلى الناس نظرة عطف ورحمة، ويحاول بأسلوبه الحسن أن يغير من أساليبهم في الحياة، وأن ينمي فيهم روح التفاؤل، لأن التفاؤل نتيجة مهمة من نتائج الصبر، ويبعث في النفس القوة للاستمرار في الحياة، فإنه كلما كان الإيمان قويًا كان التفاؤل بالفرج كبيرًا.

مراتب الصبر ودرجاته:

قسم بعضهم الصبر إلى ثلاث درجات هي صبر بالله، وصبر لله، وصبر مع الله[١٧٩].

فالأولى: الاستعانة بالله والاعتقاد أنه هو المصبِّر، وأن صبر العبد بربه لا بنفسه. كما قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾[١٨٠]. يعني إن لم يصبِّرك الله لم تصبر.

الثانية هي: الصبر لله. ومقتضاه أن يكون الباعث له على الصبر محبة الله وإرادة وجهه، والتقرب إليه لإظهار قوة النفس والتحبب إلى الخلق، وغير ذلك من الأعراض. والصبر لله فوق الصبر بالله، وأعلى درجة منه وأجل، لأن «الصبر متعلق بألوهيته والصبر به متعلق بربوبيته وما تعلق بألوهيته أكمل وأعلى مما تعلق بربوبيته». ولأن الصبر لله عبادة، والصبر به استعانة، والعبادة غاية، والاستعانة وسيلة والغاية مرادة

---

[١٧٩] انظر في هذا الموضوع وما بعده: ابن قيم، مدارج السالكين، وعدة الصابرين، الميداني، عبد الرحمن حبنكة: الأخلاق الإسلامية، ج٢، عبد الفتاح الفاوي: الأخلاق؛ يوسف القرضاوي: الصبر في القرآن.

[١٨٠] سورة النحل: الآية ١٢٧.

www.mtenback.com

لنفسها والوسيلة مرادة لغيرها، ولأن الصبر مشترك بين المؤمن والكافر، والبر والفاجر. فكل من شهد الحقيقة الكونية صبر به. والصبر له منزلة الرسل والأنبياء والصديقين وأصحاب مشهد (إياك نعبد وإياك نستعين)، لأن الصبر لله صبر فيما هو حق له ومحبوب له ومُرْضٍ له. والصبر به قد يكون في ذلك، وقد يكون فيما هو مسخط له، وقد يكون في مكروه أو مباح.

أمَّا الثالثة هي: الصبر مع الله فهي دوران العبد مع أوامر الله وأحكامه الدينية صابرًا نفسه معها، سائرًا بسيرها مقيمًا بإقامتها، يتوجه معها أين توجهت ركائبها، وينزل معها أين استقلت مضاربها.

فهذا معنى كونه صابرًا مع الله، أي قد جعل نفسه وقفًا على أوامره وتواهبه، وهو أشد أنواع الصبر وأصعبها وهو صبر الصديقين، والمسير من الدنيا إلى الآخرة سهل هين على المؤمن، وهجران الخلق في جنب الله شديد، والمسير من النفس إلى الله صعب شديد لذا كان الصبر مع الله أشد.

وسئل أحدهم عن الصبر فقال: «تجرع المرارة من غير تعبس»، وقيل: «تعويد النفس للهجوم على المكاره».

وقيل: «المقام مع البلاء بحسن الصحبة كالمقام مع العافية»، والصبر على أحكام الله هو الصبر على أقداره، والصبر على طاعته، والصبر عن معصيته أكمل من الصبر على أقداره، لأن الصبر فيها صبر اختيار وإيثار ومحبة، والصبر على أحكامه الكونية صبر ضرورة وبينهما البون شاسع، وهكذا يكون «الصبر لله أكمل من الصبر على قضائه وقدره».

وأعظم أقسام الصبر مرتبة وأكثرها ثوابًا وأجرًا الصبر عن المعاصي. ففي الحديث: «حُفَّت الجنة بالمكاره، وحُفَّت النار بالشهوات»[١٨١].

---

[١٨١] أخرجه مسلم، كتاب الجنة، حديث رقم ١.

www.mtenback.com

ولأن الصبر عن المعاصي يحتاج إلى مجاهدة عظيمة من الشخص لنفسه، لأن النفس البشرية تشتهي أشياء كثيرة من مأكل ومشرب وملبس ومنكح، وهي أمارة بالسوء إلا ما رحم الله: «فإذا أمرت صاحبها بمعصية فقاومها وذكرها بالله وأنه مطلع على جميع تصرفات العبد، وأنه قد حرم هذا الفعل وأن عقابه للعاصين أليمٌ شديد وهكذا، حتى يستطع زجرها عن هذه الشهوة المحرمة فإنه يكون قد صبر عن المعصية.

أقسام الصبر:

قسم بعض أهل العلم الصبر فجعل منه أقساماً هي:

الصبر على امتثال أمر الله تعالى، والانتهاء عما نهى عنه تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[١٨٢].

الصبر على قضاء الله وقدره وابتلائه، والصبر على ما فات إدراكه من رغبة مرجوة، و الصبر فيما يخشى حدوثه. وفي هذه الحالات يكون الصبر عماداً تقوى به النفوس وتنبعث للعمل فيتحقق النجاح ويكون الصبر معيناً عليه، وقد قيل بالصبر يتوقع الفرج ومن يدمن قرع الباب يلج، قال الحسن البصري: «لا تحملن على يومك همٌ غدك، فحسب كل يوم همه»

الصبر فيما يتوقعه من رغبة يرجوها، فليكن مع الرغبة وقوراً، وعند الطلب صبوراً. جاء عن النبي ﷺ «الصبر ضياء» أي يكشف ظلم الحيرة، ويوضح حقائق الأمور.

---

[١٨٢] سورة الزمر: الآية ١٠.

www.mtenback.com

الصبر على ما نزل من مكروه، قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[١٨٣].

يقول الإمام الغزالي «اعلم أن الصبر ضربان: أحدهما **ضرب بدني** كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليها وهو إما بالفعل كتعاطي الأعمال الشاقة إما من العبادات أو غيرها، وإما بالاحتمال كالصبر على الضرب الشديد والمرض العظيم والجراحات الهائلة»، فالصبر في هذه الأمور يكون محمودًا إذا وافق الشرع ولكن المحمود التام هو الضرب الآخر، وهو الصبر النفسي عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهدى، ثم إن هذا الضرب إن كان صبرًا عن شهوة البطن والفرج سمي (عفة)، وإن كان على احتمال مكروه اختلفت أساميه عند الناس باختلاف المكروه الذي غلبه الصبر: فإن كان في مصيبة اقتصر على اسم (الصبر)، ويكون ضده حالة تسمى (الجزع والهلع)، وهو إطلاق داعي الهوى ليسترسل في رفع الصوت وضرب الخدود وشق الجيوب وغيرها.

وإن كان الصبر في احتمال الغنى وشكر المنعم سمي (ضبط النفس) وضده حالة تسمى (البطر)، وإن كان في حرب ومقاتلة سمي (شجاعة) وضده (الجبن)، وإن كان في كظم الغيظ سمي (حِلْمًا) وضده (التذمُّر)، وإن كان في نائبة من نوائب الزمان مضجرة سمي (سعة الصدر) وضده (الضجر والتبرم وضيق الصدر)، وإن كان في إخفاء كلام سمي (كتمان السر) وسمي صاحبه (كَتُومًا)، وإن كان صبرًا عن فضول العيش سمي (زهدًا) وضده (الحِرْص)، وإن كان صبرًا على قدر يسير من الحظوظ سمي (قناعة) وضده (الشَّره). وهكذا يتبين أن أكثر أخلاق الإيمان داخل في الصبر. لذلك لما سئل عليه السلام مرة عن الإيمان قال: «هو الصبر» لأنه أكثر أعماله وأعزها، وقد جمع الله تعالى أقسام ذلك وسمى الكل (صبرًا). فقال تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ

---

[١٨٣] سورة لقمان: الآية ١٧.

www.mtenback.com

وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[184]، يريد سبحانه الصابرين عند وقوع المصائب، وعند الفقر، وحال الحرب بالترتيب كما جاءت به هذه الآية.

هذه أقسام الصبر باختلاف متعلقاتها، وقد جعل القرآن الصبر وحده مناط الفلاح في الآخرة، ودخول الجنة واستحقاق التحية من الملائكة، وذلك في مثل قوله تعالى في شأن الأبرار من عباده: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾[185].

فوائد الصبر:

كما أن للمصائب والمحن أضرارًا فإن لها فوائد كثيرة قد يغفل عنها خاصة الناس فضلاً عن عامتهم. لذلك نجد الذين لهم خبرة وتجربة ودراية بالأمور ينظرون بعين البصيرة، فإذا أصيبوا بمصيبة حمدوا الله تعالى واسترجعوا ورضوا بما قدر الله. وقد أثنى القرآن عليهم بقوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[186]، اعترافًا منهم بأنه لا مفر لهم منه ولا محيد لهم عنه. والصبر مقياس الإخلاص لله تعالى إذ لا مرجع في دفع الشدائد إلا إليه، ولا معتمد في كشفها إلا عليه. قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾[187]. ومن فوائد الصبر على المصائب الإنابة إلى الله والإقبال عليه. قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾[188].

---

[184] سورة البقرة: الآية ١٧٧.

[185] سورة الإنسان: الآية ١٢.

[186] سورة البقرة: الآية ١٥٦.

[187] سورة الأنعام: الآية ١٧.

[188] سورة الزمر: الآية ٨.

www.mtenback.com

ومنها التضرع والدعاء. قال تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا﴾[189]. ومنها ترسيخ خصال الحلم عمن صدرت عنه المعصية. قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾[190]. وتختلف مراتب الحلم باختلاف المصائب في صغرها وكبرها فالحلم عند عظيم المصائب أفضل من كل حلم دون ذلك.

ومن الفوائد التي يجنيها الإنسان من وقوع المصائب العفو عن جانيها. قال تعالى: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾[191]، والعفو عن أعظمها أفضل من كل عفو، والصبر عليها موجب لمحبة الله تعالى وعظيم ثوابه. قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[192]، ومنها الفرح بها لأجل فوائدها إذ ليست المصيبة شراً كلها، فقد تكون تكفيراً عن خطيئة، وقد تكون تعجيلاً بالعقوبة في الدنيا، لأن في تأجيلها خطراً عظيماً. قال عليه السلام «والذي نفسي بيده إن كانوا ليفرحون بالبلاء كما يفرحون بالرخاء»، وإنما فرحوا بها إذ لا وقع لشدتها ومرارتها بالنسبة إلى ثمرتها وفائدتها، والشكر عليها لما تضمنته من فوائدها، مثلها مثل شكر المريض الطبيب القاطع لأطرافه، المانع من شهواته لما يتوقع في ذلك البرد والشفاء.

ومنها تمحيص الذنوب والخطايا. قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[193].

---

[189] سورة الزمر: الآية ٤٩.

[190] سورة التوبة: الآية ١١٤.

[191] سورة آل عمران: الآية ١٣٤.

[192] سورة آل عمران: الآية ١٤٦.

[193] سورة الشورى: الآية ٣٠.

www.mtenback.com

ومنها أيضًا رحمة أهل البلاء ومساعدتهم على بلواهم. فالناس إمّا معافى أو مبتلى، فارحموا أهل البلاء، واشكروا الله تعالى على العافية.

ومنها كذلك معرفة قدر نعمة العافية والشكر عليها. فإن النعم لا تعرف أقدارها إلا بعد فقدها.

ومنها معرفة ما أعده الله تعالى من ثواب الآخرة على اختلاف مراتب تلك المصائب، وما في طيها من الفوائد الخفية. فقد قال تعالى: ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[١٩٤].

ومن الفوائد أن المصائب والشدائد تمنع من الأشر والبطر، والفخر والخيلاء، والتكبر والتجبر، والفقراء والضعفاء هم أتباع الأنبياء، ولهذه الفوائد الجليلة كان أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الصالحون الأمثل فالأمثل، وقد نُسبوا إلى الجنون والسحر والكهانة، واستهزئ بهم وسُخر منهم فصبروا على ما كذبوا وأوذوا، فاستحقوا ما بلغوا من الرتب. ومن الفوائد الرضا الموجب لرضوان الله تعالى. فإن المصائب تنزل بالبر والفاجر، فمن سخط فله السخط وخسران الدنيا والآخرة ومن رضي فله الرضا. ورضا الله سبحانه أفضل من الجنة وما فيها. قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[١٩٥] أي من جنات عدن ومساكنها الطيبة.

علاقة الشكر بالصبر:

ثمة علاقة وثيقة بين الصبر والشكر. وقد يدخل الشكر في مفهوم الصبر أحيانًا لأن الرخاء واليسر يثيران في نفس الإنسان الشهوات، فإذا قمعها عن الشرور وردعها عن الطيش كان ذلك صبرًا وثباتًا للباعث الديني في مقاومة الشهوات، كما أن المرض

---

[١٩٤] سورة النساء: الآية ١٩.

[١٩٥] سورة التوبة: الآية ٧٢.

www.mtenback.com

والفقر وما يعتري حياة البشر من مشكلات اجتماعية متنوعة تحتاج إلى صبر ومصابرة، وإرغام النفس على تحمل الأذى، لما في ذلك من دلائل إيمانية يثاب عليها صاحبها.

وقد ينفرد الصبر من الشكر وهذا هو الغالب، إلا أنهما قد يجتمعان، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له» (١٩٦).

والصبار الشكور هو المؤمن الكامل الذي جمع بين شطري الإيمان: الصبر والشكر، لأن الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر، ومما يشهد لاجتماع الصبر مع الشكر في معرض الثناء وتحقيق الإيمان الكامل ما رواه ابن عباس عن النبي ﷺ أنه «دخل يومًا على الأنصار فقال: «أفمؤمنون أنتم؟ فسكتوا، فقال عمر بن الخطاب: نعم يا رسول الله، قال: فما علامة إيمانكم؟ فقال عمر: نشكر في الرخاء، ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء، فقال: مؤمنون ورب الكعبة» (١٩٧).

وقد اختلف الناس في أيهما أفضل: الصبر أم الشكر؟ فبعضهم يرى تساويهما ومنهم عمر رضي الله عنه. فقد حكي عنه أنه قال: «لو كان الصبر والشكر بعيرين لم أبال أيهما ركبت». لقد نظر عمر إلى النتائج لا إلى المقدمات. فالصبر على المكروه عنده مع احتساب الأجر على الله يستوي مع شكر المنعم المتفضل على بلواه، لأن في ذلك تكفيرًا للذنوب، وتمحيصًا من الخطايا، فما كان إذن ليقدم أحد الأمرين على الآخر.

والبعض الآخر يرى أنه لا يمكن إجمال القول بتفضيل أحدهما على الآخر فيما يندرج من الأعمال والأقوال تحت اسم الصبر. والشكر لا ينحصر وهي درجات

---

(١٩٦) صحيح مسلم: باب الزهد والرقائق، الحديث رقم ٢٩٩٩، ص٢٢٩٥.

(١٩٧) الغزالي: إحياء علوم الدين، ص٣١١.

www.mtenback.com

مختلفة، فأقل درجات الصبر ترك الشكوى مع الكراهة، ووراءها الرضاء وهو مقام وراء الصبر، ووراء ذلك الشكر على البلاء وهو وراء الرضا.

ودرجات الشكر كثيرة. فإن حياء العبد من تتابع نعم الله عليه شكر، ومعرفته بتقصيره عن الشكر شكر، والمعرفة بعظيم حلم الله وستره شكر، والاعتراف بأن النعم ابتلاء من الله بغير استحقاق شكر، والعلم بأن الشكر نعمة من نعم الله شكر. إن ما يتحقق بالشكر فقط أو بالصبر فقط فذلك يختلف القول فيه باختلاف درجات كل من الصبر والشكر، فتارة يسبق الشكر ومقاماته وأخرى يسبق الصبر، ولا يحسن بالمسلم أن يسأل الله البلاء من أجل أن يصبر عليه، فيترتب على ذلك الأجر له؛ لنهي النبي ﷺ عن ذلك واستعاذته من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء، وهو عليه السلام القدوة والأسوة لأمته. كما أن المرء ربما سأل الله البلاء ليصبر فيؤجر، إلا أنه قد يعجز عن الصبر ويقع في الجزع.

نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة إنه سميع قريب.

نجد أن العناية بالصبر ترجع إلى ما له من قيم كبيرة دينية وخلقية. فليس هو من الفضائل الثانوية أو المكملة، بل هو ضرورة لازمة للإنسان ليرقى ماديًا ومعنويًا، ويسعد فرديًا واجتماعيًا. فلا ينتصر دين ولا تنهض دنيا إلا بالصبر، فالصبر ضرورة دنيوية كما هو ضرورة دينية. فلا نجاح في الدنيا ولا فلاح في الآخرة إلا بالصبر، ولولا صبر الزارع على بذره ما حصد، ولولا صبر الغارس على غرسه ما جنى، ولولا صبر الطالب على درسه ما نجح، ولولا صبر المقاتل في ساح الوغى ما انتصر، وكل الناجحين في الدنيا إنما حققوا آمالهم بالصبر، واستمرؤوا المر واستعذبوا العذاب، واستهانوا بالصعاب، ومشوا على الشوك، وحفروا الصخور بالأظافر، ولم يبالوا بالأحجار تقف في طريقهم، والطعنات تغرس في ظهورهم، والشراك تنصب للإيقاع بهم، وبالكلاب تنبح من حولهم، بل مضوا في طريقهم غير وانين، ولا متوقفين، غاضين الأعين عن القذى، ساجين الذيول على الأذى، متذرعين بالعزيمة، مسلحين بالصبر. وقد يعثرون

www.mtenback.com

ثم لا يلبثون أن ينهضوا، وقد يخطئون ثم يوشكون أن يصيبوا، وقد يجرحون ثم لا يلبث جرحهم أن يندمل، وقد يضعفون مرة ومرة، فلا يلقون السلاح ولا يستسلمون لليأس، ولا يفقدون نور الأمل.

لقد عرف عشاق المجد، وخطاب المعالي وطلاب السيادة أن الرفعة في الدنيا كالفوز في الآخرة لا تنال إلا بركوب متن المشقات، وتجرع غصص الآلام والصبر عن كثير مما يُحَبّ، وعلى كثير مما يُكْرَه، وبدون هذا لا يتم ولا يتحقق أمل، ومن تخيل غير هذا الطريق فتخيله خاطئ قال الشاعر[١٩٨]:

لاَ تَحْسَبِ المَجْدَ تَمْرًا أَنْتَ آكِلُهُ ... لَنْ تَبْلُغَ المَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبِرا

فالصبر إذن ضرورة للعلو والنهضة، هو ضرورة للناس عامة وللمؤمنين خاصة، لأنهم أشد تعرضًا للأذى والمحن والابتلاء في أموالهم وأنفسهم، وكل عزيز لديهم بعد الأنبياء. والجنة ثمنها الصبر على البأساء تصيب الأموال، والضراء تصيب الأبدان. والزلزلة تصيب النفوس. ومن هنا أمر القرآن الكريم المؤمنين أن يستعينوا بالصبر والصلاة على ما واجههم من محن في سبيل دعوتهم. فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، ثم قرن بين الصبر والتقوى وجعلهما دليلاً على قوة الإرادة ومضاء العزيمة، فقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾. والمهم أن نعرف كيف نصبر؟ ولمن نصبر؟ وماذا نريد بصبرنا؟ ونحتسب في ذلك ونحسن النية فيه. أورد ابن أبي الدنيا هذه الأبيات لأعرابي من بني عذرة يقول [١٩٩]:

---

[١٩٨] يوسف القرضاوي: الصبر في القرآن الكريم، ص ١٦.

[١٩٩] ابن أبي الدنيا: الصبر والثواب عليه، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف دار ابن حزم، بيروت، (١٤١٨هـ/١٩٩٧م).

www.mtenback.com

عَلَيْكَ بِتَقْـــوَى اللهِ واقْنَـــعْ بِرِزْقِـــهِ ... فَخَـيْرُ عِبَـادِ اللهِ مَـنْ هُـوَ قَـانِعُ
وَلا تُلْهِكَ الدُنْيَـــا وَلا طَمَـــعٌ بِهَـــا ... فَقَدْ أَهْلَكَ المغْـــرُورَ فِيْهَـــا المَطَـــامِعُ
وَصَبْرًا عَلى نَوبَاتِ ما نَابَ وَاعْتَـــبِرْ ... فَمَا يَسْتَوِي عَبْـــدٌ صَبُـــورٌ وَجَـــازِعُ
أَلَمْ تَرَ أَهْلَ الصَّبْرِ يُجْزَوا بِصَـــبْرِهِم ... بِمَـــا صَـــبَرُوا وَاللهُ رَاءٍ وَسَـــامِعُ
وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِـــي نِعْمَـــةِ اللهِ عِنْـــدَهُ ... سِوَى ما حَوَتْ يَوْمًا عَلَيْهِ الأَضَـــالِعُ
فَقَدْ ضَاعَ فِي الدُّنْيَا وَخُيِّـــبَ سَـــعْيُهُ ... وَلَيْـــسَ لِـــرِزْقٍ سَـــاقَهُ اللهُ مَـــانِعُ

لم يكن لنا من بد في الاستطراد في هذا الجانب من معاني الصبر والظروف التي تستوجبه، والحالات التي تظهر قدرة الصابرين وجزع الجـــازعين. ولأن الســـياحة في العقل العربي وتصوره لوظيفة الصبر كانت ممتعة وجميلة فقد فسحنا مجـــالاً رحبًـــا، ومساحة طيبة لنسبر غور النفس البشرية ومراحل الحياة ومواقف الابتـــلاء بالســـراء والضراء. وقد رأينا كيف نظر العرب إلى الصبر بمضامين متعـــددة وأغـــراض مختلفـــة ولكنهم لم يختلفوا في شيء واحد ذلك هو أن الصبر خلق الكرام ومحك معدن الجـــودة والاقتحام.

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

الفهارس

موقع الدكتور مبروك بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
البقرة	﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى...﴾	٤٥	١٣، ١٦
	﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ﴾	١٥٣	٨، ١٦
	﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا...﴾	١٥٥-١٥٧	١٦
	﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾	١٧٥	٧
	﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ...﴾	١٧٧	٧١
آل عمران	﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾	١٢٠	١٦
	﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا﴾	١٢٥	١٦
	﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾	١٤٦	٧٢
	﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾	١٨٦	١١
	﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾	٢٠٠	٨، ١٥
النساء	﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾	١٩	٧٣
المائدة	﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾	٢	٣٩
الأنعام	﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ﴾	١٧	٧١
التوبة	﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾	٧٢	٧٣
	﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾	١١٤	٧٢
هود	﴿وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلامٌ...﴾	١١	١٧
يوسف	﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾	١٨	٨، ١٤
الرعد	﴿وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلامٌ...﴾	٢٣-٢٤	١٧
الحجر	﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ... الآية﴾	٥٥ - ٥٦	١٤
النحل	﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾	١٢٦	١٧
الكهف	﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾	٢٨	٧

www.mtenback.com

السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
طه	﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ...﴾	١٣٠	٦٢
	﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا... الآية﴾	١٣٢	٦٤
القصص	﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾	٥٤	١٥
العنكبوت	﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ...﴾	٢-٣	١٢
لقمان	﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾	٦٨	١٧
السجدة	﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا...﴾	٢٤	١٦
ص	﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ﴾	١٧	٦١
الزمر	﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾	٨	٧١
	﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾	١٠	١٣،١٦، ٦١،٦٩
	﴿فَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا﴾	٤٩	٧٢
فصلت	﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو...﴾	٣٥	١٧
الشورى	﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾	٣٠	٧٢
	﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾	٤٣	١٧
محمد	﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ....﴾	٣١	٩،١٠
ق	﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ...﴾	٣٩-٤٠	٦١
الطور	﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ...﴾	٤٨-٤٩	٦١
المعارج	﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً﴾	٥	١٤
المزمل	﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً﴾	١٠	٦١
المدثر	﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾	٧	٦١
الشرح	﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾	٥-٦	١١
العصر	﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾	٣	٧

www.mtenback.com

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
«إذا لقيتموهم فاثبتوا»	٣٥
«أفضل عبادة أمتي»	١٠
«إني أنا الصبور»	٧
«بالصبر يتوقع الفرج»	٦٩
«ثلاث من رزقهنّ»	٤٥
«حُفّت النار بالشهوات»	٦٨
«دخل يومًا على الأنصار»	٧٤
«الصبر ستر الكروب»	٢١
«الصبر ضياء»	٦٩
«عجبًا لأمر المؤمن»	٧٤
«لن ينزل بعبد قط أمر»	٢٤
«ما أعطي أحد عطاء»	١٠
«المؤمن الذي يخالط الناس»	٦٥
«من أعطي فشكر»	٦٩
«من لم يرضَ بقضائي»	٦٩
«من محمد رسول الله»	٣٩
«واعلم أن النصر مع الصبر»	١٦
«والذي نفسي بيده»	٧٢

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأشعار

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـ ى ـ		
ما أحسن	الفتى	ـ	١	٢٥
تأنَّ	تأنى	ـ	٢	٣٣
		ـ ء ـ		
هو الصبر	أشاؤها	ـ	٥	٥١
		ـ ب ـ		
تصبر	تخيبُ	ـ	٢	١٥
أرى الصبر	مذهب	ابن الرومي	٣	٣٢
كذا	الخطوب	صفي الدين الحلي	٢	٤٤
وفي الصبر	لب	عمر بن أبي ربيعة	١	٥٥
على قدر	يصيبه	ـ	٢	١٣
سأصبر	عواقبه	أبو فراس الحمداني	٣	٥٧
فأي النعمتين	إيابا	محمود الوراق	٣	٣٠
كن حليمًا	مصيبه	ـ	٢	٣٢
وأصبر	عجيب	ابن الخطيب	١	١٢
ثلاث يعزّ	لبيب	زهير بن أبي سُلمى	٢	٢٠
الصبر	الأرب	محمود الوراق	١	٢٣
فلذ	الثواب	صفي الدن الحلي	١	٤٣
نعاه	كوكب	ـ	٢	٥٤
اصبر	تقلبه	أبو العتاهية	٤	٢٦
أصبر	الحقب	ـ	١	١٨

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـ ت ـ		
فللصبر	فائتا	ـ	١	١٢
		ـ ج ـ		
ستشعر	تنتهج	محمد العطوي	٤	٣١
إنّ الأمور	ارتتجا	محمد بن بشير الخارجي	٣	١٩
إذا تضايق	الفرج	أبو العتاهية	١	١٥
		ـ ح ـ		
صبرًا	القريح	الشريف الرضي	٣	٢٧
صبرًا	الجريح	ابن نباتة	٢	٢٠
		ـ د ـ		
قلّوا	عددُ	أبو تمام	٣	٣٨
والصبر	محمود	ـ	١	٥٩
اصبر	مخلد	أبو العتاهية	٤	٤٣
ولّما	صاد	كثير عزة	٣	٥٧
		ـ ر ـ		
وإن تخن	الصبر	ـ	١	٩
هي الأيام	ينتظر	أبو العتاهية	٢	١٥، ٣١
تصبر	الحر	ـ	٥	١٩
تصبر	البواتر	ـ	٢	٢٢
اصبر	القدر	ـ	٢	٢٤
الصبر	ضرر	أبو هلال العسكري	٦	٢٩

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
قد كنت	الحذرُ	أبو هلال العسكري	٢	٢٩
إذا أتتك	يصبرُ	—	١	٤٠
تعزّ	القمر	البحتري	١	٤٣
لعمرك	المعاير	ليلى الأخيلية	٣	٤٦
ويفرح	ذخر	—	٢	٤٨
اصبر	تدبير	—	٢	٥٠
وقد	تصبر	عمر بن أبي ربيعة	١	٥٦
أأترك	لصبور	عمر بن أبي ربيعة	١	٥٦
إني عشية	لصبور	جميلة بثينة	١	٥٦
صبرت	أتصبر	أبو هلال العسكري	١	٥٨
ولّما	يصبر	—	١	٦٠
بنى	الضرُّ	—	٢	٦٦
عليك	فتحقرا	—	٢	٢٠
وإن	واصبر	النابغة الجعدي	١	٢٤
رأيت	سارا	أبو فراس الحمداني	٣	٣٦
إذا ما	صدرا	—	٢	٥٠
يا رب	صبرا	عمر بن أبي ربيعة	١	٥٦
ارث	أسرا	أبو فراس الحمداني	٣	٥٧
لا تحسب	الصبرا	—	١	٥٧
لأستسهلنّ	لصابر	—	١	١٤
إني رأيت	الأثر	—	٢	١٩
من يمتط	اليسر	—	١	٢٣

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
يقولون	الصبر	القاضي الفاضل	٢	٢٥
ويوم	الجمرِ	نهشل بن حرّي	٢	٣٤
لله	القبر	—	٤	٤٦
وقد كنت	الدهرِ	—	٣	٤٨
من سبق	الأجر	علي بن الجهم	٣	٤٩
صحا	العمر	عمر بن أبي ربيعة	٢	٥٦
أيبكي	صبر	جميل بثينة	١	٥٦
ولي فيه	الاعتذار	أبو فراس الحمداني	٢	٥٨
بكيت	الصبر	أبو فراس الحمداني	٢	٥٨
نبئت	الدهر	—	٢	٦٠
تصبر	بعار	—	٢	٦٤
إني وجدت	الأثر	—	٢	٦٦
أنفق	صبره	—	٢	٢٧
الدهر	يدبر	—	٢	٢١
صبرًا	بالظفر	الشريف الرضي	٢	٢٧
بكى	اكفهر	—	٣	٣٦
إنما	صبر	—	٤	٥٩
— س —				
وما يبكون	بالتأسي	الخنساء	١	٢٢
— ع —				
دموع	تقطع	—	٢	٢٤
لو كان	أدع	جميل بثينة	١	٥٧

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
صبرت	فاجزع	أبو عمر بن بكير	٢	٦٠
عليك	قانع	ــ	٦	٧٧
ما أحسن	الجزع	ــ	٢	٦٥
وقولي	تراعي	قطري بن الفجاءة	٣	٣٨
ــ ف ــ				
لا تجزعنّ	خلافُ	أبو العباس محمد بن يزيد	٢	١١
فيها	لاكشف	أعشى قيس	١	٣٤
وإن الحصى	خفيف	ــ	١	٤٦
يا سلم	بالمقاريف	ــ	٢	٣٤
ومن	أنفه	ربيعة الرقي	٢	٣٠
ــ ق ــ				
هريقي	تطيقي	الخنساء	٢	٢٢
ــ ك ــ				
اصبر	أصفاكا	ابن همام السلولي	٣	٤٠
أراك	ذاكا	بهاء الدين زهير	٦	٤٩
يا نفس	دنياك	ابن المعتز	٢	٢٩
وما هذه	ضنك	البحتري	٤	٤٤
ــ ل ــ				
والسر	موكل	ــ	١	٩
وعاقبة	التفضل	علي بن الجهم	١	٢٣
اصبر	قاتله	ــ	٢	٥٤

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
عليك	جلّت	—	٢	١١
إني	معولا	محمود الوراق	٢	٢١
فأقسمت	مالها	الخنساء	٢	٢٢
وكانت	ذلت	عمرو بن معد يكرب	٢	٣٠
يمثل	تنزلا	محمود الوراق	٦	٤٧
قالوا	رحيلا	—	٢	٥٨
صبّر	المحتال	أمية بن أبي الصلت	٣	٣١
اصبر	بالعجل	—	٢	٣٢
إذا لعب	بالرجال	—	٢	٦٠
ومن	البذل	—	٢	٦٤
— م —				
إذا	أحزم	—	٢	١٢
إن كان	العدم	أبو تمام	٤	٢٨
تأن	تلوم	—	١	٣٣
من جعل	سلما	أبو الفتح البستي	٤	٣٧
تأخرت	أتقدما	الحصين بن الحمام	٧	٣٧
أبوا	سلّما	—	٢	٣٨
قالوا	أنعما	ابن المعتز	٣	٥٨
أتصبر	البهائم	أبو تمام	١	٣٠
أيا صاحبي	مزاحم	—	٢	٣٢
إذا أنت	البهائم	—	١	٤٨
اصبر	النعم	—	٢	٥٠

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
إذا المرء	مبرم	ــ	١	٦٣
ــ ن ــ				
ما أحسن	حسن	ــ	١	٢٣
تنكّر	تهون	المظفر الأبيوردي	٢	٢٦
تصبر	الثنين	أحمد بن القاضي الفاضل	٢	٢٦
فإن تصبرا	تريان	ــ	١	٤٠
إنا	الدين	الإمام الشافعي	٢	٤٠
الدهر	أغناني	ــ	٢	٦٥
ــ هـ ــ				
قرين	قضاها	ــ	١	٢٣
ــ و ــ				
أما والذي	كفو	ــ	٢	٦٠

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأمثال

المثـــل	الصفحة
«احرصوا على الموت»	٣٨
«أصبر من الأثافي»	٥٢
«أصبر من الأرض»	٥٢
«أصبر من جذل الطعان	٥٢
«أصبر من حجر»	٥٢
«أصبر من حمار»	٥٢
«أصبر من ذي ضاغط»	٥٢
«أصبر من ضب»	٥٢
«أصبر من عود بجنبه جلب»	٥٢
«أصبر الناس من سر فاقته»	٥٣
«أفضل الصبر التصبر»	٨
«صبر ساعة أطول للراحة»	٥٣
«صبرًا على مجامر الكرم»	٥٢
«الصبر عند الصدمة الأولى»	٥٣
«الصبر كاسمه وعاقبته العسل»	٥٤
«صبرك عن محارم الله أيسر»	٥٢
«الصبر مطية النصر»	٥٤
«الصبر معول السلم»	٥٣
«الصبر مفتاح الفرج»	٥٣
«صبرًا وإن كان قترًا أو قبرًا»	٥٣
«لا تحملن على يومك هم غدك»	٦٩

www.mtenback.com

المثـــل	الصفحة
«لن تنال ما تأمل إلاّ...»	٥٤
«من صبر وتأنى نال ما تمنى»	٥٤
«من نظر في مصيبة غيره»	٥٤

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

المصادر والمراجع

ابن الأبار:

ديوان ابن الأبار، قراءة وتعليق: عبد السلام الهراس، الدار التونسية للنشر، تونس.

الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد:

المستطرف في كل فن مستظرف، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

الأندلسي، أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله الزبيدي:

مختصر العين، حققه: نور حامد الشاذلي، عالم الكتب.

الألباني، محمد ناصر الدين:

صحيح سنن الترمذي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط١، ١٩٨٧م.

أمية بن أبي الصلت:

ديوان أمية بن أبي الصلت، نشره سيف الدين الكاتب، مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد الله:

ديوان البحتري، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٥هـ-١٩٦٩م.

بدوي، عبد الرحمن:

الأخلاق النظرية، وكالة المطبوعات، الكويت، ط١، ١٩٧٥م.

البغدادي، جمال الدين بن الفرج عبد الرحمن الجوزي:

التبصرة، دار الكتب العلمية، بيروت.

www.mtenback.com

البنوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء:

مصابيح السنة، تحقيق: د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، ومحمد سليم إبراهيم سمارة، وجمال حمداي الذهبي، دار المعرفة، بيروت.

البهاء زهير:

ديوان البهاء زهير، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

أبو تمام، حبيب بن أوس:

ديوان أبي تمام، شرح وتحقيق: د. شاهين عطية، دار صعب، بيروت.

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل:

- اللطائف والظرائف، دار المناهل للطباعة والتوزيع والنشر.

- يتيمة الدهر، شرح وتحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت.

الجار الله، عبد الله جار الله بن إبراهيم:

بهجة الناظرين فيما يصلح الدنيا والدين، مكتبة الصفحات الذهبية. الرياض.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر:

الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.

جميل بثينة:

ديوان جميل بثينة، مطبعة عالم الكتب، بيروت، د.ت.

www.mtenback.com

الجهني، عاطي بن عطية:

الصبر، مكتبة ليتز للنشر والتوزيع.

الجهيمان، عبد الكريم:

الأمثال الشعبية في قلب الجزيرة العربية.

ابن حزم الأندلسي:

طوق الحمامة، قدم له وحققه إحسان عباس، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس.

الحنبلي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي:

الآداب الشرعية والمنح المرجية، مؤسسة قرطبة، القاهرة.

الخارجي، محمد بشير:

شعر محمد بن بشير الخارجي، جمعه وحققه محمد خير البقاعي، دار قتيبة، دمشق، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

الخطيب التبريزي:

شرح ديوان أبي تمام، قدّم له ووضعه فهارسه: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

الخزندار، محمود محمد:

هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقًا، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٨هـ.

دراز، محمد عبد الله:

دستور الأخلاق في القرآن، مؤسسة الرسالة، دار البحوث العلمية، ط٤، ١٩٨٢م.

www.mtenback.com

الدمشقي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الحنبلي:

ابن قيم الجوزية، روضة المحبين، ونزهة المشتاقين، مكتبة دار التراث، مصر.

ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد:

الصبر والثواب عليه، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت.

الراغب الأصبهاني:

محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء هذبه واختصره إبراهيم زيدان، دار الآثار، بيروت.

الرازي، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب:

تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، ط٢.

الراوي، حازم عبد القهار:

الصبر والإقدام عند العرب، المكتبة الوطنية، بغداد.

الزنجاني، محمود أحمد:

تهذيب الصحاح، تحقيق عبد السلام هارون وأحمد عبد الغفور عطار، دار المعارف، مصر.

الزبيدي، عمرو بن معد يكرب:

شعره، جمع وتحقيق: مطاع الطرابيشي، دمشق، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

سالم، عبد العزيز:

تاريخ العرب في عصر الجاهلية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧١م.

السورتي، محمد بن عبد الحي الكفليتوري:

البصائر في تذكير العشائر، مطبعة لبنان، بيروت.

www.mtenback.com

شاهين، عبد الصبور:

الأخلاق النظرية في القرآن، مؤسسة الرسالة، دار البحوث العلميـــــة، بيروت.

الشريف الرضي:

ديوانه، دار صادر، بيروت.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك:

الغيث المنسجم في شرح لامية العجم، دار الكتب العلميةن بيروت.

صفوت، أحمد زكي:

جمهرة رسائل العرب في عصور العربية، الزاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.

الطبراني:

الإمام الطبراني، تحقيق: فاروق حمادة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء.

طلفاح، خير الله:

كنتم خير أمة أخرجت للناس، مطبعة المعاني، بغداد.

عبد الله، عبد العزيز:

الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب، دار الغرب الإسلامية، بيروت.

عبد الله عبد القادر محمود:

دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب اللبناني، مطبعة جامعـــة الملـــك سعود.

www.mtenback.com

أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم:

ديوان أبي العتاهية، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ١٣٨٤هـ.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله:

- جمهرة أمثال العرب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبد المجيد قطامش، دار الجيل، بيروت، د.ت

- ديوانه، جمع وتحقيق: جورج منازع، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م.

عفيفي، فوزي سالم:

في مكارم الأخلاق، وكالة المطبوعات، الكويت.

عمر بن أبي ربيعة:

ديوان عمر بن أبي ربيعة، دار القلم، بيروت، د.ت.

عيسى، عبده غالب أحمد:

الصبر الجميل، دار الجيل، بيروت.

غالب، نجيد شرف عدنان الغالب:

بدائع الزهور المختارة، الدار السعودية للنشر والتوزيع.

الغزالي، أبو حامد محمد بن أحمد:

إحياء علوم الدين، دار العلم، بيروت، ط٤، د.ت.

الفارسي، أبو القاسم زيد بن علي:

شرح الحماسة، دراسة وتحقيق: محمد عثمان علي، دار الأوزاعي.

الفاوي، عبد الفتاح أحمد:

الأخلاق، دراسة فلسفية، فنية ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

www.mtenback.com

الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب:

القاموس المحيط، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم:

عيون الأخبار، اختيار أحمد عبد العليم البردوني، وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

قراعة، محمود:

الأخلاق في الإسلام، مكتبة مصر، الفجالة، ط٢.

القرشي، أبو زيد محمد بن الخطاب:

جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تحقيق: علي محمد البجاوي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.

القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله محمد بن عبد البر النمري:

بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، تحقيق: محمد مرسي الخولي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر.

ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر:

- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

- تهذيب مدارج السالكين، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت.

كنعان، الشيخ محمد بن أحمد:

قصص الأنبياء وأخبار الماضيين، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر.

مالك بن أنس:

موطأ مالك، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٥م.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري:

أدب الدنيا والدين، تحقيق: مصطفى السقا، دار الكتب العلمية، بيروت.

www.mtenback.com

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد:

الكامل، مؤسسة المعارف، بيروت.

مبارك، زكي:

الأخلاق عند الغزالي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

مبيض، محمد سعيد:

أخلاق المسلم وكيف نربي أبناءنا عليها، مكتبة الغزالي، إدلب، سوريا.

محمود، علي عبد الحليم:

تربية الناشئ المسلم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ط١.

ابن المعتز، عبد الله بن محمد المعتز بالله الخليفة العباسي:

ديوان ابن المعتز، دار بيروت للطباعة والنشر، د.ت.

ابن منظور، محمد بن مكرم:

لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت.

الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة:

الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم، بيروت، دمشق، ط١، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري:

مجمع الأمثال، منشورات دار مكتبة الحياة.

النابغة الذبياني:

ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر.

www.mtenback.com

النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف:

رياض الصالحين، تحقيق: محيي الدين الجراح ومحمد علي الصابوني، مناهل العرفان، بيروت.

النويري، شهابد الدين أحمد بن عبد الوهاب:

نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م.

النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري:

صحيح مسلم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

الهاشمي، السيد أحمد:

جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء اللغة العرب، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.

ياجن، مقدار:

جوانب التربية الإسلامية الأساسية، مطبعة دار العلم، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

يعقوب، إميل بديع:

موسوعة أمثال العرب، دار الجيل، بيروت، د.ت.

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com